نظريات السيطرة الأستراتيجية وصراع الحضارات

تأليف
عباس غالي الحديثي

دار أسامة
للنشر والتوزيع

khalifa-DZ-SCAN

Join US on Facebook :

https://www.facebook.com/groups/S.Politiques.ADM.POL.PUBLIQUE

نظريات السيطرة الأستراتيجية وصراع الحضارات

تأليف

د. عباس الحديثي

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن- عمان

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن – عمان

هاتف : ٥٦٥٨٣٥٣ – فاكس : ٥٦٥٨٣٥٤ – تلفاكس : ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب. : ١٤١٧٨١

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٦/١٥١٧)

٣٢٧

الحديثي، عباس

نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات / عباس الحديثي.– عمان : دار أسامة للنشر ٢٠٠٤.

( ) ص.

ر.إ : (٢٠٠٤/٦/١٥١٧).

الواصفات : /العلاقات الدولية//السياسة الخارجية/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

المقدمة

يقال إن كل تطبيق بدون نظرية أعمى ومن هناك كانت أهمية النظريات التي هي عبارة عن مجموعة من الاقتراحات المرتبة منهجيا فتقوم بتقديم التفسيرات للعلاقات بين الظواهر وتطورها والتكهن بالتطور المستقبلي لها، و من هنا أيضا حاولت القوى العظمى أن تعتمد على نظريات يضعها الباحثون في حقول المعرفة المختلفة من أجل أن تحقق هذه القوى أهدافها بأقل التكاليف المادية والمعنوية وضمان مصالحها الحيوية. وتعد نظريات السيطرة الاستراتيجية العالمية أهم تلك النظريات لكونها تتسم بالشمولية، وتعدد أبعادها وتشابك عناصرها، ولكونها تتعلق بالمصالح الحيوية للقوى العظمى التي تتمثل في الدرجة الرئيسية في ديمومة هيمنتها على مجريات النظام العالمي وصيانة مجالاتها الحيوية.

وتلعب التكنولوجيا الدور المركزي في التحولات النظرية في مجال الاستراتيجية العالمية من حيث تتابعها الزمني. وعليه فقد كانت النظريات التي تؤمن بالسيطرة الاستراتيجية للقوة البحرية هي السائدة في بداية ظهور مثل هذه النظريات عندما أصبح النظام الدولي نظاماً مغلقاً بعد إتمام الكشوفات الجغرافية. وقد قاد هذه النظرية أدميرال البحار الأمريكي (الفرد ثاير ماهان Alfred Thair Mahan) عام ١٨٩٠م، من خلال كتاباته في هذا المجال خاصة كتابه (تأثير القوة البحرية على التاريخ...) وعندما برزت التطورات التكنولوجية في النقل البري وبرزت معدات القتال الجديدة وتغيرت موازين القوى نسبياً

ظهرت نظرية القوة البرية في بداية القرن العشرين عندما ألقى أحد الجغرافيين البريطانيين وهو هالفورد جون ماكندر Halford John Mackinder في عام ١٩٠٤م، محاضرته الشهيرة في الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وقرر أهمية السيطرة الاستراتيجية العالمية للقوة البرية وزعم أن هذه القوة موجودة في محور يقع على منطقة تمتد بين آسيا وأوروبا سماه (المحور الجغرافي للتاريخ) ثم طوره فيما بعد وسماه (قلب الأرض Heart Land) الذي يمكنه إذا ما طور إمكانياته من السيطرة على الجزيرة العالمية (آسيا وأفريقيا وأوروبا) وبالتالي السيطرة على العالم.

وعلى أثر أحداث الحرب العالمية الثانية ومجرياتها ظهرت نظرية للسيطرة الاستراتيجية العالمية لا تؤمن بالنظرية البحرية كاملاً ولا بالنظرية البرية كاملاً وإنما تؤمن بهما جزئياً. طرحت هذه النظرية في كتاب أستاذ العلاقات الدولية بجامعة Yale في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٤م وهو الهولندي الأصل والأمريكي النشأة (نيكولاس جون سبيكمان Nicolas John Spykman في كتابه (جغرافية السلام) وكان يعتقد بأن السيطرة الاستراتيجية على العالم تمر عبر السيطرة على ما سماه بـ (نطاق الحافة Rimland) أو (نطاق الارتطام crush zone) الذي تلتقي عنده القوى البحرية والقوى البرية وتتصادم وهو الممتد من غرب أوروبا إلى غرب آسيا وجنوبها ثم يصل إلى شرق الصين.

وبعد هذه النظرية بخمس سنوات قادت التطورات التكنولوجية في

الأسلحة وبروز فاعلية الطيران في الحرب العالمية الثانية إلى ظهور نظرية تدعي السيطرة الاستراتيجية العالمية للقوة الجوية وقدمها جنرال الجو الروسي الكسندر دي سنرسكي Alexander De Seversky عام ١٩٤٩م بعد هروبه إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكان يعتقد بأن من يسيطر على منطقة تداخل التغطية الجوية لحماية القلب الصناعي الأمريكي والقلب الصناعي الروسي والتي سماها بمنطقة المصير هو الذي يسيطر استراتيجياً على العالم.

إلا أن التطورات الاقتصادية التي انعكست عن الثورة التكنولوجية أفرزت آليات جديدة للسيطرة الاستراتيجية العالمية غير الآلية العسكرية التي اعتمدت عليها النظريات التقليدية السابق ذكرها. ولهذا ظهرت في بداية النصف الثاني من القرن العشرين نظرية تعرف بـ (نظرية المركز والأطراف أو القلب والهامش Core and Periphery) التي تقول بوجود مركز أو قلب تمثله المنظومة الرأسمالية العالمية وزعيمتها الولايات المتحدة، وأطراف أو هوامش تتبع وتدور حول هذا المركز. ونظراً لتركز القوة والثورة والتكنولوجيا في المركز فإن ذلك يقود إلى سيطرته الاستراتيجية على العالم، وما حركات التحرر الوطني وبروز الكتلة الاشتراكية إلا محاولات للخروج من هيئة وسيطرة هذا المركز وإعادة توزيع القوة على نطاق عالمي.

ثم طرح صموئيل هنغتون من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة في بداية التسعينات ١٩٩٣م، على أثر الانهيار الجيوبوليتكي للاتحاد السوفييتي نظرية للهيمنة العالمية والصراع العالمي تقوم على الآلية الثقافية سماها

(صـــدام الحضارات) وبعد أن قام بإجراء مقارنات بين الحضارات التي افترض وجودها حاليا في العالم وهي ثمان حضارات: الغربية – الإسلامية – اليابانية – الكونفوشيوســية – الأمريكية اللاتينية – الأرثوذكسية – الهندوسية – الإفريقية، قرر بأن الصراع التالي القادم سوف لا يكون أيديولوجيا ولا اقتصادياً وإنما ثقافياً وبدور بين الحضارة الغربية من جهة والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية من جهة أخرى.

الباب الأول

الفصل الأول:

نظرية القوة البحرية لـ (ماهان)

الفصل الثاني:

نظرية قلب الأرض لـ (ماكندر)

الفصل الثالث:

نظرية الإطار الأرضي لـ (سيكمان)

الفصل الرابع:

نظرية القوة الجوية لـ (سفرسكي)

الباب الأول

النظريات الجيوستراتيجية
أو نظريات السيطرة الاستراتيجية القديمة

تمهيد:

تهدف هذه النظريات إلى التوصل لمجموعة من العوامل الأساسية الأقرب للاستمرار هذه التي تؤدي إلى نموذج الدولة القومية بخصائصها الحضارية الشاملة وليس فقط من أجل تحديدها نظريا، بل وأيضا لاستثمارها وتطويرها عمليا، ورغم أن الجغرافيا (المنطقة + الموارد + السكان) تتضمن النسبة الكبرى من هذه العوامل بحيث تكاد تقدم القاعدة الأساسية لنظريات القوة، إلا أن التاريخ (الزمن + التغير + التطور) يتدخل ليمنع هذه القاعدة الحيوية والظلال والمستويات بل والاستدادات أيضا خاصة على هذا المنحنى الفريد من تطور العلم والتكنولوجيا والاختراع والابتكار بحيث يمكن القول بأنه إذا كانت الجغرافيا تقدم القاعدة لهذه النظريات، فإن التاريخ يمنحها النماذج، وتؤدي التكنولوجيا منذ الأداة الحجرية وحتى مركبات الفضاء ومد العامل المحرك لها جميعاً، وهكذا يمكن القول، بأن مكونات هذه النظريات (الجيوستراتيجية) إنما هي هذه الثلاثية المتضمنة (الجغرافيا + التاريخ + التكنولوجيا).

ومن بين عناصر الجغرافيا يظهر تأثير عامل (توزيع اليابس والماء، الموارد، السكان) أشد حسماً في مجال البحث عن العلاقة بين الجغرافيا والقوة، ومن بين تيارات التاريخ الحافلة تتجلى نماذج القوة الإقليمية والعالمية كتعبير متجسد لهذه العلاقة، هذه النماذج التي تخضع للتحليل، بحثاً عن مكونات وعوامل القوة في بنية كل منها.

للإجابة عن السؤال المطروح:

* لماذا هي التي بزغت دون غيرها؟
* وما هي المزايا التي تجمعت لها، وتفاعلت بها، بحيث برزت فوق المستوى العام للتاريخ؟
* وما هي الأساليب التي اتبعتها وساهمت في تحقيق ذلك؟
* ثم ربما أخيراً، لماذا قدر لمعظم هذه النماذج أن تفقد تدريجياً قوة اندفاعها؟ وأن تضعف التفاعلات الإيجابية داخل بنيتها، وأن تتلاشى مزاياها فجأة أو على مراحل؟ وأن تتدنى مرتبتها وتتحدر عن مكانتها، وتتحول أحياناً إلى نموذج عكسي لما كانت عليه.

أما التكنولوجيا – التي قدمت أدواتها للسلم والحرب معاً– فإن تأثيرها يتجلى عند نقاط التميز الأساسية، سواء بالنسبة لما أدت إليه من فائض وازدهار عند بعض المجتمعات دون غيرها، أو بالنسبة لما تضمنته من تطوير لأدوات الحرب عند بعضها دون الآخر، أو بالنسبة لما أدت إليه من سيطرة على عنصري المكان (المسافة) والزمان (السرعة) بحراً وبراً، عند بعض المجتمعات بدرجة تفوق غيرها (المواصلات)، أو بالنسبة لتشكيل الخامات واستغلال الطاقة (الصناعة)، أو في غير ذلك من خطوط المفارقة بين المجتمعات البشرية من هذه الناحية[1].

لقد قدمت خطوط المفارقة التكنولوجية هذه (الفائض، أدوات الحرب، المواصلات، الصناعة) باستمرار أهم أسباب الصراع بين هذه المجتمعات، وذلك بما هيأته لبعضها دون الآخر، أو بدرجة تفوقه، من أسباب القوة والبروز،

---

(١) عمر الفاروق السيد رجب: قوة الدول. دراسة جيوستراتيجية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٧٣- ٧٤.

ويستحيل في آخر الأمر، تفسير العلاقة بين الجغرافيا والقوة، دون الرجوع باستمرار إلى خطوط المفارقة التكنولوجية هذه، أو دون الرجوع إلى ما سببته -كعوامل حركة- من نقاط التغير والتحولات التاريخية، وما أدت إليه من مستويات للقوة في خريطة العالم، قديمة ووسيطة وحديثة، وذلك مع عدم تجاهل أهمية اقتران التكنولوجيا بنواحي ثقافية معينة تمنحها معناها، وتحول بينها وبين التحول، إلى مجرد أدوات للقوة بمعناها العدواني العسكري الضيق بل وتضيف إليها من الدلالات ما يجعل منها -التكنولوجيا- تراثاً ورصيداً إنسانياً عاماً ومتجدداً[1].

إلا أن الضرورة تقتضي أن نشير هنا قبل الدخول في تفصيلات هذه النظريات أن التنافس الاستعماري الذي هيمن على العلاقات الدولية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، انطلق من خلفية اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، وكانت الدول الأوروبية تسبغ على سياستها الاستعمارية شرعية روجها رجال السياسة والمفكرون -بما فيهم الجغرافيين- كما أنهم سعوا إلى إيجاد تفسيرات علمية أو نصف علمية للإنجازات التي حققتها دولهم أو إلى الطموحات التي لم يكتب لها أن تخرج إلى حيز الواقع وذلك على الرغم من أن إمكانات إنجازها كانت ماثلة. فالبحث في نظريات القوة (جيوستراتيجيا) لم يكن محض تطور علمي من دون أغراض سياسية، فالنزعة الاستعمارية التي هيأتها التطورات الرئيسية في أوروبا بعد ثبات الثورة الصناعية حثت على دراسة مصدر القوة (جيوستراتيجيا) وعلى مصائر تلك الدول.

كما أن مخارج تلك الدراسات أصبحت ذخيرة للتوسع الاستعماري تعين صناع القرار في الدول الأوروبية المتنافسة ومن هنا التصقت النظريات

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٥.

(الجيوستراتيجية بالظاهرة الاستعمارية وبإطار مع التوسع الاستعماري التي نشطت على أيدي الجيوستراتيجيين الألمان)[1].

فهذه النظريات في تطبيقها تعمل إما لخدمة المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتحقيقها وتأمين استمراريتها أو التحذير أحياناً من احتمال قيام قوة منافسة تتهيأ لها المقومات لبناء قوتها الذاتية وعندئذٍ يبرز إلى الوجود خطر يهدد المصالح، أو للسببين السالفي الذكر معاً[2].

(١)كاظم هاشم نعمة :الوجيز في الاستراتيجية، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، ٢٠٠٠م، ص٣٨- ٣٩.

(٢) صبري فارس الهيتي :الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٧٧.

الفصل الأول

نظرية القوة البحرية (ماهان)

ترتبط نظرية القوة البحرية بالادميرال البحري الأمريكي ألفرد ثاير ماهان إلى الدرجة التي دفعت بأحد الكتاب إلى القول (تصعب الكتابة حول موضوع القوة البحرية بدون الاعتراف بما تدين به لرجال مثل (الفرد. ث. ماهان) الذي كان أول من طرح نظريات حول القوة البحرية، وقبل ذلك كتبت الباحثة الأمريكية ماركريت ت. سبراوت عن ماهان ما يلي "لم يؤثر أي شخص آخر تأثراً عميقاً ومباشراً على نظرية القوة البحرية والاستراتيجية البحرية مثلما فعل ألفرد ماهان"[1].

١ـ حياة ماهان واعماله

ولد الأميرال ألفرد ثاير ماهان (١٨٤٠م- ١٩١٤م) في وست بوينت West Point في نيويورك، لعائلة عسكرية إذ كان والده أستاذاً للهندسة العسكرية في الأكاديمية العسكرية للولايات المتحدة، واختار ماهان مهنته في البحرية وتقلد منصب أستاذ محاضر في التاريخ البحري والاستراتيجي في الكلية البحرية الحربية حيث أصبح في عام ١٨٨٥م رئيسها.

وكان كتابه (تأثير القوة البحرية على التاريخ ١٦٦٠-١٧٨٣م The Influence of sea power, upon History 1660-1783) والمنشور عام ١٨٩٠م، العمل الذي جعله مشهوراً، وقد ألفه لإيمانه بأن القوة البحرية قد أحدثت

---

(١) مروان بحيري، ألفرد ت. ماهان: أفكار وأرواد حول القوة البحرية والشرق الأوسط كمفهوم استراتيجي، الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٥، ١٩٨٢م، ص١٨٣.

تأثيراً فعالاً وقوياً في مستقبل ومصائر الشعوب، وأن أهميتها التاريخية، خصوصاً في مجال السيطرة البحرية، قد أهملت بشكل عام من قبل رجال السياسة والمؤرخين الأكاديميين، والاستراتيجيين العسكريين، وقد اتبع كتابه هذا بكتابين آخرين هما: (تأثير القوة البحرية على الثورة الفرنسية والامبراطورية ١٨٩٢م[١]، The Influence of sea power upon the French Revolution and Empire 1892 . وحياة نلسون 1897 The life of Nelson. الذي اختبر فيه قادة بريطانيا الرئيسيين، وله كتابات أخرى أهمها: الحرب البحرية: بعض المبادئ العامة (بوسطن ١٩١٨م) Navel Adminstration and warfare some general priciple ودروس من الحرب مع أسبانيا (لندن ١٩١٨م) Lessons of the war with Spain واهتمام أمريكا بالقوة البحرية: في الحاضر والمستقبل The Interest of American in sea power, present and Future وساهم كذلك في كتابة عشرات المقالات في مختلف الصحف والمجلات الدورية حيث دأب باستمرار على تكرار أطروحاته الأساسية حول التاريخ البحري والاستراتيجية، وليس هناك شك في أن نظرياته ومبادئه قد أثارت الاهتمام في نمو الأساطيل البحرية في العقدين اللذين سبقا الحرب العالمية الأولى في أوروبا وأمريكا على وجه الخصوص.

إن نظريات وملاحظات ماهان غير منتظمة أو متماسكة كعمل واحد، ولكنها مبعثرة في عشرات الكتب وعشرات المقالات ويمثل ذلك مشكلة خطيرة بالنسبة للمحلل، بالإضافة إلى أن كتاباته إرشادية توجيهية ووصفية (أي يقول ما يجب أن تفعله الدول والأساطيل البحرية).

ومن المهم كذلك الإشارة إلى أن (ماهان) قام بتمييز دقيق بين

---

(١) مروان بحيري، مصدر سابق، ص١٨٤- ١٨٥.

الاستراتيجية البحرية المبنية على أسس عريضة وباقية إلى حد ما غير قابلة للتغيير، والتكتيكات البحرية، أي العمليات القتالية وعلم استخدام الأسلحة التي قد تتغير مع تطور أسلحة جديدة[1].

٣- منطوق وفروض نظرية القوة البحرية

لقد سادت المرحلة المركانتلية بعد اكتمال حركة الكشوف الجغرافية وظهور الدولة القومية Nation state التي راحت تبحث عن تدعيم سلطتها وقوتها السياسية والاقتصادية في وقت كان الأوروبيون قد تمكنوا من الهيمنة والاستيلاء على المستعمرات وذاقوا طعم الثروات، وقد شهدت هذه المرحلة أعنف أشكال الصراع والتنافس على تقسيم العالم بين الدول الأوروبية، بعد أن مكنت التحسينات التكنولوجية في صناعة السفن والقدرة على الإبحار في العديد من الدول الأوروبية للمغامرة بحثاً عن فرص جديدة لتكون الثروة، كما أن رأس المال التجاري قد سيطر في هذه المرحلة وأصبح التجار يؤازرهم في ذلك الملوك والأمراء والحكومات، يلعبون دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية والسياسية[2]. إذ أصبحت بين التجارة والسياسة علاقة متشابكة فأصبح التجار ينادون بمقولة:

إن من يحكم المحيط يحكم تجارة العالم

وإن من يحكم تجارة العالم يحكم ثروة العالم

وأن من يسيطر على ثروة العالم يحكم العالم ذاته

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٢) هاري ماجدوف: الإمبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١، ص٣.

وكـان هـذا هو الدافع وراء قيام الفرد ثاير ماهان بطرح نظريته حول القـوة البحرية ومقومات هذه القوة التي حددها بالموقع الجغرافي ومساحة الدول وظهـيرها مـن حيث الفقر والغنى الذي يساعد على المتاجرة وطبيعة الساحل، فضلا عن طبيعة الشعب والحكومة وتوجههما نحو البحار[1].

لقد اتخذ ماهان (بريطانيا) نموذجاً لاختبار فروضه مع إجاباته ليس فقط باعتـبار صـدارتها للقـوة البحرية عقب الكشوف الجغرافية واستمرار سيادتها العالمـية بعدهـا قروناً طويلة، بل أيضاً باعتبار ما ورثته منها وما جسدته في بنيـتها مـن خصائصهـا، وهـو يضمن آراءه في كتاباته عنها بما يشكل في مجموعـه إطـاراً فكرياً وتطبيقياً معاً عن جيوستراتيجية قوة البحر وقد صنف ماهـان فروضـه الأساسـية إلـى مجموعات ثلاث تمثل في جملتها أساسيات نظريته[2].

أولا: الفروض المكانية

مـن بيـن العناصـر المكانية العديدة، اختار ماهان (الموقع + الساحل والجـبهات المائية + الظهير) لعرض فروضه عن جيوستراتيجية القوة البحرية، كما يلي:

١- **الفروض المتصلة بالموقع:**

أ- اقتصاديات الموقع بين الهامشية والمركزية.

---

(١) للتفاصـيل حـول مقومـات القـوة الـبحرية، التـي جـاء بهـا ماهـان يـنظر، Alfred.T. Manan(The Influence of sea power upon History 1660-1783) sampson low, Mirstion and co., 1890, pp.25-89.

(٢) أثـرنا اسـتخدام العرض والتحليل الذي قدمه عمر الفاروق السيد رجب لمقومات القوة البحرية حسـب نظرية ماهان في كتابه قوة الدولة: دراسة جيوستراتيجية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٣٥- ١٤٧، وذلك لعمق التحليل وتفصيله.

ب-مرونة الموقع بين العزلة والاتصال.

ت-فعالية الموقع بين الدفاع والهجوم.

وفيما يتصل بفرضه الأول، فقد استند إلى ما أسفرت عنه الكشوف الجغرافية من اتساع أبعاد العالم بمقدار محيطين وثلاث قارات، وما تداعى عن ذلك من انتقال خطوط التجارة من المتوسط إلى الأطلس، وما أعقبه من تغيرات جذرية في توزيع الأهمية النسبية لمعظم المواقع الجغرافية في أنحاء العالم، هذه التي صبت معطياتها الإيجابية لحساب نموذجه (بريطانيا) بحيث تجلت مدنها بعدها وقد أمسكت بخطوط التجارة العالمية الرئيسية سواء المنتهية إلى أوروبا أو المبتدئة منها إلى العالم الجديد، وذلك بعدما تورث هذه المدن الموانئ من أسر مواقعها الهامشية على حدود العالم القديم قبل هذه الكشوف، إلى ما يقرب المركزية من خطوط الحركة والتبادل بعدها، مما يعني أن للموقع الجغرافي اقتصادياته الكافية التي تنتظر الكشف عن استثمارها.

وبالنسبة للفرض الثاني، فإن للجزر خصائصها من وجهة النظر الجيوستراتيجية، خاصة حالة تكوينها لوحدة سياسية مستقلة، تتجدد في اتفاق خطوط انقطاعها الطبيعية (السواحل) مع حدودها السياسية، وبالتالي عزلتها عن جيرانها بمقدار الجهات المائية الفاصلة، وهي عزلة إما أن تدعمها (الدولة الجزيرية) وإما أن تلاشيها، وقد بقيت بريطانيا أسيرة طبيعتها الجزرية قرونا، مشدودة لعزلتها بحكم هامشيتها، وعندما وجدت نفسها في مركز العالم مع اتساع أبعاده، فإنها قد عمدت اتباع سياسة يتراوح إيقاعها بين العزلة والاتصال، بحيث تكون قريبة وبعيدة معاً، واستثمرت البحر على وجهيه (الفصل + الوصل) تبعاً لمصالحها المتغيرة.

أما الفرض الثالث (الدفاع والهجوم)، فإن خطوط الانقطاع الطبيعية تعد خطوطاً دفاعية من الدرجة الأولى، خاصة عندما تكون هذه الخطوط ساحلية،

وذلك باعتبار الصعوبة النسبية لاقتحام اليابس من السطح المتحرك، والسهولة النسبية للدفاع من السطح الثابت (اليابس) حالة الهجوم عليه من الماء، ورغم المزايا الجيوستراتيجية التي توفرها المستويات الكنتورية الأعلى (الجبال) بالقياس للمتوسطة (الهضاب) أو الأدنى (السهول)، إلا أن خطوط الانقطاع بينها متدرجة وليست نوعية مثل هذه التي تفصل بين الثابت والمتحرك.

وبالنسبة لبريطانيا فقد قدمت (السواحل + الجبهات المائية) رصيداً دفاعياً ضمن حسابات قوتها الشاملة، دعمته بأسطول فائق الفعالية من الناحيتين الدفاعية والهجومية معاً، وعالجت مشكلة المسافة بينها وبين مستعمراتها، بتأسيس عدد من القواعد في مواقع اختيرت بعناية (جبل طارق، مالطة، قناة السويس، عدن، سنغافورة وغيرها.

٢- الفروض المتصلة بالسواحل والجبهات المائية

أ- مورفولوجية الساحل

رغم اشتراك خطوط السواحل جميعها من حيث طبيعتها الانقطاعية إلا أنها تختلف بعد ذلك من حيث خصائصها الجيومورفولوجية، وبالتالي صلاحيتها لتكوين القوة (فرض العلاقة بين المورفولوجية والقوة)، ويعود ذلك إما إلى شكل الساحل، وإما إلى خصائص الجبهة المائية، وبالنسبة لشكل الساحل، فإن العلاقة بين الاستقامة والتعرج تعد أهم خصائصه الجيوستراتيجية، خاصة ما يتصل منها بصلاحية تعرجاته لظهور الموانئ هذه التي ترتبط عدداً وأهمية، بما يتهيأ لها على خط الساحل من مواضع تحتضنها (البروز + الانحناء + المساحة المائية الهادئة) وتتميز أوروبا - خاصة غربيتها - بسواحلها المتعرجة التي تحتضن العشرات من موانيها الخليجية، وبينما لا تزيد النسبة بين مساحة أوروبا إلى أفريقيا عن ٣:١ فإن النسبة بين أطوال سواحل القارتين تظهر معكوسة أي ١:٣ ومن هنا تظهر أهمية تحديد النسبة بين مساحة الدولة وأطوال سواحلها من

ناحية، وتحديد المسافات بين سواحلها وأجزائها الداخلية من ناحية ثانية، ليس باعتبارات جيوستراتيجية فقط وإنما باعتبارات اقتصادية أيضا. ويضاف إلى ما سبق من خصائص خط الساحل وما يتصل به من مؤثرات طبيعية (التيارات + الأمواج + الرياح + المستنقعات) وما ينتهي إليه من بروزات ورؤوس جبلية متوازية معه أو متعامدة عليه، إلى غير ذلك مما يؤثر بدرجات في احتمالات ظهور الموانئ التي هي بمثابة الأساس لتكوين ونمو القوى البحرية.

ب- الجبهات المائية

تتمثل خصائص الجبهة المائية في مساحتها المناخية لسواحل الدولة، بداية من رصيفها القاري وحتى بداية المياه الدولية، وتحوز الجزيرة أكبر مساحة ممكنة من المياه، وتتوازن علاقتها مع ما يحوطها كلما زادت مساحتها بشرط ألا تتجاوز المسافة بين المياه وأبعد نقطة على يابسها حداً معيناً، ورغم التوازن النسبي في هذه العلاقة بين الجزر البريطانية وجبهاتها المائية، ورغم المسافات المناسبة بين داخلها وخطوط سواحلها، إلا أن نقطة ضعفها الجيوستراتيجية، إنما تظهر في احتمال اختراق يابسها الضيق نسبياً من محاور عديدة، وهو الاحتمال الذي تكفل أسطولها بمنعه طويلاً ويؤدي اختلاف خصائص الجبهات المائية إلى تباين المناطق المطلة عليها، وذلك من خلال ما توفره من موارد وما تنقله من مؤثرات (خاصة المنافية منها) وما قد تؤدي إليه من مشكلات (موجات المد، الأعاصير) كما تتفاوت نتائجها تبعاً لقدرة كل منطقة على استثمار معطياتها ومعالجة مشاكلها.

ج- الرصيف القاري والمياه الإقليمية والدولية

تشكل عناصر (خط الساحل + الرصيف القاري + المياه الإقليمية + المياه الدولية) منظومة جيوستراتيجية بارزة في النظرية العامة لقوة البحر، وقد سبقت الإشارة إلى خط الساحل باعتباره خط الانقطاع الطبيعي بين اليابس

والمـاء، ولكن اليابس يبقى مستمراً تحت الماء لمسافات وأعماق مختلفة تعرف بالرصـيف القاري، وتستمد الأرصفة القارية أهميتها من تبعيتها القانونية للدولة المشرفة عليها، وأيضاً مما قد تحتويه من موارد طبيعية، فضلاً عن أهمية تحديد نهاياتهـا بالنسبة للدول المشرفة على جبهات مائية ضيقة وقد قامت بريطانيا - حماية لمصالحها التجارية- بالتفرقة المبكرة بين المياه الإقليمية الخاضعة لسيادة الدولـة، والمياه الدولية (أعالي البحار) المفتوحة لجميع الدول بلا قيود وقد قرر مؤتمـر جنـيف ١٩٥٨م كما قامت اللجنة القانونية التابعة للأمم المتحدة بتحديد الرصيف القاري حتى عمق ٢٠٠متر، إلا أن اختلاف الآراء حول هذه التحديدات مـا يـزال مـثاراً لعدد من المشكلات السياسية في الخريطة العالمية المعاصرة وتـتجلى النتائج الإيجابية لهذه المنظومة بمقدار ما تستثمره الدولة من معطياتها الجيوستراتيجية والاقتصادية وقدرتها على دمج عناصرها في بنية قوتها الشاملة.

٣- الفروض المتصلة بالظهير

أ- موارد الظهير بين الكفاية والفائض

يعـد انتقال الظهير من مرحلة الكفاية المعيشية إلى مرحلة الفائض، من أهـم دوافع توجهه نحو سواحله لتصريف فائضه، عندئذ تظهر موانئ التصدير كوظيفة للظهير تجمع فائضه وتكمل حركته، ويسيطر على الحركة في الظهير ما يعـرف بقوى الطرد والجذب الاقتصادية، وهي ليست ثابتة كما أنها لا تعمل في اتجاه واحد. وقد أسفرت هذه الحركة -في سياق طويل من التطور- عن صياغة الحـركة الفعالة بين الظهير والموانئ في الجزر البريطانية، وعن تنظيم التدفق الإقليمي بين المزرعة والمصنع والميناء، وتجددت محاور الحركة في إطار مرن مـتطور مـن الآلية والمواصلات، بداية من وحدات الإنتاج في الظهير وحتى نهايات الحركة عند منافذ التصريف.

ب_ خطوط الحركة بين الظهير والسوق

تتواصل العلاقات المكانية بين الظهير والموانئ إلى الجبهات المائية فما وراءها. وإذا كانت (الثورة التجارية) التي أعقبت الكشوف الجغرافية قد أدت إلى عالمية الظهير، فقد دعمت (الثورة الصناعية) من هذه الصياغة تبعاً لشروطها، ليس فقط بما شحنت به حركة الاستعمار من طاقة للسيطرة على الطرق والمناطق معاً، بل أيضاً بما تطلبته مقوماتها (الخامات + الأسواق) من عالمية أيضاً، وأدركت بريطانيا أهمية أن تستند صناعتها وتجارتها إلى أسس عالمية، بحيث يكون العالم كله ظهيرها وسوقها معاً، الأمر الذي يقتضيها التحكم في اتجاهات الحركة بينهما، خصوصاً فوق الماء بطبيعة الحال، غير أنها قد عانت نقطة الضعف الكامنة في بنيتها منذ البداية، تلك هي ما يمكن أن تتعرض له خطوط الحركة بين الظهير والسوق من أخطار الانقطاع نتيجة الحروب وتهديد القوى المنافسة من ناحية، وما تتطلبه حمايتها من تكلفة باهظة من ناحية ثانية، واحتمال فقدانها لها كلياً أو جزئياً من ناحية ثالثة، وهو ما تعرضت له بالفعل بعد الحربين الأولى والثانية الأمر الذي يؤكد فرض العلاقة بين الظهير والسوق في صورتها العالمية الراهنة، بشرط توافر السلام اللازم لتدفقها على خطوط الحركة بينهما.

ج- الثغرة والظهير

تظهر العلاقة بين (الثغرة والظهير) في سهولة الحركة أو صعوبتها داخل الظهير، أو بينه وبين الساحل والجبهة المائية، وتعني (الثغرة) فتحة في متصل من اليابس، تسمح بتدفق الحركة على جانبيها، وهي قد توجد في خط الساحل وتهيئ للموانئ، أو في السلسلة الجبلية (الممر)، كما تتمثل في (الانهيار) باعتبارها خطوطاً للحركة تشق كتلة اليابس من المنبع للمصب، وتتفاوت مزايا الثغرة تبعاً لإمكانيات ما تصل بينه من مناطق، وما توفر من يسر الحركة، ولما

كانت الحركة تميل لاتباع أقصر المسافات بحكم التكلفة، فإن الثغرات الواقعة على طول خطوط أقرب للاستقامة تجذب إليها الحركة بالضرورة حالة توفر الشروط الأخرى.

وتمثل منظومة (الموانئ الخليجية + الأنهار الصالحة للملاحة + السلسلة الجبلية الموازية للساحل) ظاهرة متكررة في الجزر البريطانية دعت لظهور معظم موانيها وخاصة أن سلسلتها الموازية لسواحلها قدمت خط تقسيم المياه الأساسي لأنهارها المنحدرة شرقاً وغرباً، متيحة أقصر المسافات بين الظهير وخط الساحل وأقلها تكلفة، وعندما دخلت بريطانيا -قبل غيرها- عصر النقل الحديدي، شحنت الحركة الإقليمية بطاقة من السيولة أنعشت الموانئ والظهير معاً. كما استوعبت الموانئ الخليجية العميقة تطورات النقل البحري، وقطعت السفن المحيطة مسافات مختلفة داخل الظهير، وأفرغت شحناتها في الأسواق ذاتها أو قربها، وتكفلت الخطوط الحديدية الرخيصة أيضاً بإتمام حركتها، مؤدية في مجموعها إلى مضاعفة السيولة مرات في انحنائها بما يؤكد الأهمية الجيوستراتيجية الفائقة المنظومة الثغرة والظهير.

ثانياً: الفروض الاقتصادية

تستمد القوى البحرية من مواردها الذاتية نسبة من قوتها، غير أن النسبة الكبرى إنما تتحقق لها من خلال ما تضيفه لفائضها أو فائض غيرها من قيمة تجارية أو صناعية، وفيما تؤسسه لنفسها من مؤسسات تمويلية واستثمارية (البنك + الشركة) فعالة، وما تدأب على تطويره من أدوات الإنتاج (البحوث التطبيقية) لرفع قدرتها التنافسية باستمرار وما توظفه من تكنولوجيا لخدمة خطوط الإنتاج والحركة من بدايتها إلى نهايتها. وفيما يلي أهم محطات اختبار هذه القوة كما أبرزها النموذج البريطاني:

١-درجة تمويل الموارد الطبيعية إلى موارد اقتصادية

ينظر (ماهان) للموارد الطبيعية باعتبارها اقتصادية، وإن كانت في حدودها الدنيا، ويرتفع مستواها تدريجياً مع كل قيمة مضاعفة إليها، عبر سلسلة من العمليات التسويقية والتحويلية، وقد ظهرت منذ وقت مبكر، مجتمعات توجهت، واستثمار فوائض غيرها وذلك بسبب نقص مواردها بصفة أساسية، واستثمارها لنتائي المسافات بين المجتمعات المنتجة، وقصور الأخيرة عن تحقيق المنفعة القصوى من تبادلاتها... وقد جسدت بريطانيا هذا النموذج منذ الكشوف الجغرافية وما بعدها، خاصة بعدما أفصح الانقلاب الصناعي عن نتائجه العميقة الواسعة بالنسبة لتحويل الموارد الطبيعية إلى موارد اقتصادية (صهراً ومزجاً وخلطاً وتشكيلاً وتكريراً) وهي النتائج التي شحنت قوة البحر البريطانية بهذه الطاقة المندفعة في أنحاء العالم. وأصبحت الصناعة هدفاً تسعى القوى المنافسة لتحقيقه، بل خطاً أساسياً من خطوط المفارقة بين القوة والضعف منذ ذلك الحين.

٢- الإنتاج الكبير والتصريف الواسع

أفصحت الخريطة الاقتصادية للقرن التاسع عشر عن عدد من مستويات القدرة الإنتاجية، ربما ما تزال قائمة بظلالها حتى الآن.

ومع أن تباين القوى الإنتاجية خاصية قديمة في البنية الاقتصادية للعالم إلا أن الحدود الفاصلة بينها قد تعمقت أضعافاً بعد الانقلاب الصناعي. وقد قدمت بريطانيا تجربة إنتاجية وتسويقية ما تزال مستمرة حتى الآن، خاصة من حيث اقتران الصناعة بالطاقة (الإنتاج الكبير، والمواصلات (التسويق الكبير) وتنطوي هذه التجربة في جوهرها على مميزات الحشد وقدرة التنظيم. لقد احتشدت الإقطاعيات البريطانية بداية في إطار الدولة، وقطفت ثمار ذلك في سياق الكشوف الجغرافية، وعندما تراكمت رؤوس الأموال التجارية، قدم (البنك) وعاء

الاحتشاد الجديد في صورته الاقتصادية، واحتشدت قوتها العسكرية في الأسطول للدفاع عن الدولة والبنك معاً، مما مكنها من تمويل الانقلاب الصناعي بتكلفته الباهظة، وأسفر ذلك عن احتشاد قوى الإنتاج في صيغتها المتطورة (المصنع). واندمجت جميعها في بنية فعالة متنامية. وتجلى (الحشد) قوة أساسية كافية في التجربة البريطانية أفصحت عن نتائجها في سياق من إطارات التنظيم والإدارة الدقيقة (الشركة) متضمنة عمليات مترابطة من التسجيل والتوثيق والأرشفة (ما يزال أرشيف شركة الهند الشرقية البريطانية مثالاً يحتذى) والمتابعة والتدريب وتشجيع البحوث والابتكارات. واندمجت هذه العمليات في بنية المجتمع البريطاني وثقافته، وانتظمت حياته مع إيقاعاتها، وهو ما يعد من أهداف فرض الحشد الهامة بالنسبة لقوة الدولة في إطارها الحضاري الشامل.

ثالثا: الفروض السياسية

إذا كانت الخصائص الاقتصادية للنموذج البريطاني قد حركت أوروبا ثم العالم نحوه فلم تكن خصائصه السياسية بأقل منها استثارة للتوجه نحوه أيضاً، وذلك مع عدم تجاهل خصائص غيره بطبيعة الحال، خاصة مع اختلاف القواعد الثقافية والحضارية والتاريخية من الدول والمجتمعات. وفيما يلي بعضها باعتبارها أهمها:

١- الصياغة القانونية للدولة

تنقسم تجربة (الدولة) في بريطانيا إلى مرحلتين، استوعبت في الأولى منها تناقضاتها مع الإقطاعية، وتحررت في الثانية من تناقضاتها الداخلية الذاتية. وقد استندت الدولة في مواجهتها مع الإقطاعية إلى (المدينة التجارية) هذه التي اتفقت مصلحتها مع الدولة في إزالة الحدود الإقطاعية المعيقة لتدفق تجارتها، بما تفرضه على حركة التجارة من رسوم للعبور، وربما لا يكاد ينتهي بينها من

حـروب. وقدمت الدولة لها إطاراً للاحتشاد يناسب متطلبات الكشوف الجغرافية (المنافسـة + الدفـاع) وتجلـت صياغة (الدولة + المدينة) كبديل للإقطاعية في صيغتها السياسية والاقتصادية. وبعدها انتقلت الدولة لمواجهة تناقضاتها الذاتية، خاصـة فـيما يتصل منها بصياغتها القانونية، وتبدت هذه التناقضات في تحديد العلاقة بين السلطة العامة للدولة والسلطة الخاصة بكل مدينة. وأسفرت التجربة البريطانية عن تشكيلاتها ومؤسساتها الخاصة التي أوضحت قدرتها على التطور واسـتيعاب المتغـيرات، ووحدت المصلحة المشتركة العليا بين المدينة التجارية والصـناعية مـن ناحية، والدولة من ناحية ثانية، دون أن تفقد المدينة مصلحتها الخاصة، وسعيها المتواصل لتحقيقها باستمرار.

٢- التكوين السياسي للحكومة ونظام الحكم

عـادة مـا يقـترن ظهـور (الدولـة) بتشـكيل عناصـرها الأساسية (السـلطة والحكومة + الوحدة القانونية بين أجزائها + المؤسسات الداخلية) وقد تطـورت هذه العناصر في بريطانيا منذ القرن الثالث عشر الميلادي واتضحت خصائصـها كبنية تقسم بالاستمرارية، كما تأكدت شخصيتها المعنوية، هذه التي تسبغ عليها قانونيتها وشرعيتها باعتبارها، أي الدولة، الصورة القانونية لشعب ما أمـام العـالم الخارجي، وباعتبارها الإطار المنظم بعلاقته الداخلية بحيث تصب جميعها في وعاء مصلحته المشتركة.

وإذا كانـت آراء (روسو) وغيره قد أفضت بفرنسا إلى ثورتها قرب نهاية القرن الثامـن عشر الميلادي وذلك بحكم تناقضاتها الداخلية، فقد قدمت بريطانيا تجربة قـادرة على استيعاب التطورات المتلاحقة وتحقق بها معظم ما نادى به (روسو) ولكـن بدون ثورة، بل عن طريق التطور التدريجي والإصلاح المطرد في كل مجالات الدولة.

٣- الصياغة الدبلوماسية للسياسة الخارجية

وضعت بريطانيا سياستها الإمبراطورية على أسس عسكرية واقتصادية تحقق بها تماماً مصالحها، واقتضاها ذلك صياغة سياستها الخارجية في صورة تتراوح ما بين التحالف والاستمالة والمفاوضة والمعاهدة، مستندة في ذلك إلى دعامات ثابتة من (التوازن – الوفاق + المحافظة) ويظهر (التوازن) في صيغته البريطانية، متوجهاً نحو الحد من بروز أية قوة أوروبية إلى درجة تخل بتوازنات القارة، أو تمكنها من منافسة بريطانيا خارجها، واتضحت أبعاد هذه السياسة خلال القرن التاسع عشر الميلادي خاصة بعد اتجاه عدد من الدول الأوروبية (ألمانيا وروسيا وغيرها) نحو اتباع النموذج البريطاني خصوصاً في مجال التحول نحو الصناعة، وأدركت بريطانيا نتائج ذلك كما تتمثل إما في المنافسة ومشاركتها مستثمراتها، وإما في الحرب بتكلفتها الباهظة، وحاولت أن تؤجل ذلك (المنافسة + الحرب) قدر ما يمكنها. ويمكن القول أنها نجحت في هذا التأجيل طوال القرن الممتد بين هزيمة نابليون ١٨١٥م وبداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م متبعة في ذلك شتى أساليب التوازن التي تمرست بها، ولكن خيوط هذه السياسة أفلتت منها بعد الحرب الأولى، بما أدت إليه من تغيير القوى في الساحة العالمية تغييراً يختلف جذرياً عما كانت عليه قبلها.

ويمثل (الوفاق) البعد الثاني من سياستها الخارجية، فإذا كان مبدأ حرية التجارة يسمح لمصالحها الاقتصادية العليا بالتدفق على طول خطوطها، فإن الوفاق يكمله باعتبار أن الحرب هي أخطر ما يواجه التجارة، فضلاً عما يمكن أن تسفر عنه الحرب من متغيرات قد يصيب التحكم فيها أو توجيهها.

وعمدت بريطانيا إلى منع الحرب بحيث تكون أسلوباً للردع وليس للقضاء على الخصوم وبحيث تكون هي _بريطانيا_ في الجانب المنتصر دائماً، ثم هي تنهيها على مائدة المفاوضات، حيث يتصالح الخصوم ويعود الوفاق وكما

أن لهـا وزنهـا في ساحة الحرب، فقد كانت لها كلمتها على مائدة المفاوضات متوجهة نحو مصالحها في الحالتين.

أمـا (المحافظـة) فتعني المحافظة على الأوضاع السياسية في أوروبا والعـالم فـي تشكيلات شبه دائمة، وتصدت بريطانيا قرونا لكل ما من شأنه أن يهدد ترتيب القوى في الساحة بما قد يضعف أو يقوض نفوذها. وقادت بريطانيا سلسـلة مـن التحالفات طوال القرن التاسع عشر الميلادي، ولم تكن تهدف إلا للمحافظة على ما حققته لنفسها منذ ما بعد الكشوف الجغرافية أو منذ ما أصبحت عليه من سيادة عالية بعد هزيمتها أسبانيا في معركة الأرمادا ١٥٨٧م على وجه التحديد. ولكن تطورات النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدت أكبر مـن إمكانياتها وبرزت ألمانيا كقوة أوروبية لها وزنها، وتجلت اليابان مع نهاية هذا القرن قوة بحرية باسيفيكية صاعدة. وتدفقت التطورات التي اكتسحت أمامها سياسة المحافظة وأسفرت الحرب العالمية الأولى عن بريطانيا وقد تراجعت عن صدارتها العالمية لحساب غيرها (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي).

٣- آراء في نظرية البحرية لـ (ماهان)

كتبـت ماركريـت ت. سـراوت المؤرخـة الأمريكـية وزوجـة أحد الجيوبوليتكيين الأمريكان المعروفين وهو هارولد سبراوت بأنه لم يؤثر شخص واحد في نظرية القوة البحرية والاستراتيجية البحرية تأثيراً عميقاً مباشراً بالقدر الذي كان لـ (الفرد ثاير ماهان) فهو قد أوجد بل ووجه ثورة عارمة في السياسة الـبحرية الأمريكية، وأقام أساساً نظرياً لإصرار بريطانيا على الاحتفاظ بمكانتها باعتـبارها الدولة البحرية البارزة على غيرها في هذا الميدان.. كما ذكرت بأن الـتقدير الصحيح لمكانة ماهان في تاريخ الفكر العسكري يتطلب أن نفصل عدة أشـياء بعضها عن بعض، فإذا ما حققنا هذا إن استطعنا، أن نقدر قيمة مساهمة

ماهان العظيمة في الاستراتيجية الحديثة، وأن ندرك بأنه[1]:

أولا: استطاع أن يوجد فلسفة للقوة البحرية نالت تقدير وموافقة الكثير من خارج الدوائر البحرية المحترفة ووجدت طريقها إلى الهيئات والمجالس الحكومية في كثير من دول العالم.

ثانيا: وضع نظرية جديدة للاستراتيجية البحرية.

ثالثا: كان ناقداً جيداً للتكتيكات البحرية.

من خلال كتابات ماهان وصداقته الشخصية مع صانعي القرار البارزين ساعد على بلورة رأي مؤثر يفضل الاندفاع الخارجي للسياسة الأمريكية المرتكزة على القوة البحرية القائمة على القواعد الساحلية وفي الجزر وفي مقالته (الولايات المتحدة تنظر إلى الخارج) والتي تعتبر أكثر مقالاته تأثيراً، قدم ماهان براهام اقتصادية واستراتيجية للتوسع الأمريكي في العالم لحماية المصالح القومية الحيوية وكقضية ملحة وضرورية"[2].

وأسفر ذلك عن استيلاء الولايات المتحدة على قواعد استراتيجية ممتدة من جزر الوشيان إلى هواي وإلى بنما وجزر الهند الفرنسية ونيوفاوندلاند كما استولت على جزيرة بورتوريكو عام ١٨٩٨ وعلى جزيرة ناماسا Navassa جنوب كوبا، وعلى جزيرة مدواي Midway في المحيط الهادي واشترت آلاسكا من روسيا عام ١٨٦٧ وجزيرة فيرجن virgin من الدانمارك ثم إنشاء أقوى أسطول بحري في العالم ينتشر في البحار والمحيطات، يضم الغواصات وحاملات الطائرات والمدرات وكاسحات الألغام وزوارق الطوربيد وحاملات

---

(١) ماركريت ت. سبراوت ماهان: المبشر الداعية للقوة البحرية. في أدوارد ميدايرل: رواد الاستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم، ط٢، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥م، ص١١٣- ١٢٣.

(٢) مروان بحيري، مصدر سابق، ص١٨٦.

الجنود بالإضافة إلى أسطول تجاري كبير، مما لعب دوراً كبيراً في ربط الولايات المتحدة بالعالم وفي حرية الحركة[1]. وفي هذا المجال يقول أبرز الجغرافيين السياسيين الأستراليين وهو (برسكوت) بأن (ماهان لم يدافع صراحة عن حيازة المستعمرات. إلا أن تأكيداته على القيمة التي تحصلت عليها بريطانيا من سلسلة قواعدها فيما وراء البحار، تركت لقرائه الانطباع بأنها سياسة معقولة للدول البحرية الرئيسية[2].

وقد زار ماهان بريطانيا عدة مرات في رحلات بحرية إلى المياه الأوروبية في سنوات ١٨٩٣-١٨٩٥م وقد قوبل ماهان في بريطانيا مقابلة لا مثيل سابق لها. فلقد تناول طعام العشاء مع الملكة ومع رئيس الوزراء. ومنح لقباً علمياً شرفيا من جامعتي اكسفورد وكامبردج ثم استقبل كضيف شرف في النادي البحري الملكي. وكان هذا شرفاً لم يمنح لأجنبي قبل. وقالت جريدة تايمس اللندنية في امتداحها له أنه قد فعل للتاريخ البحري ما فعله كوبرنيكوس لعلم الفلك.

وكان الإنجليز يقولون في غنة مليئة بالحزن والأسى، أنه من المؤلم (أن يكون أمريكي هو الذي يبقظ هذا الجيل من الإنجليز ليفهموا وليدركوا أهمية القوة البحرية)[3].

ولكن نفوذ ماهان في أوروبا لم يكن مقصوراً على بريطانيا ففي سنة ١٨٩٠م كان الأسطول الفرنسي ثاني أسطول في العالم وفي فرنسا ترجم كتاب ماهان الأول وأثار انتباه الضباط البحريين الفرنسيين.. على أن آراء ماهان لم

---

(١) علي أحمد هارون: أسس الجغرافيا السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣١٧.

(٢) ج. بريسكوت: الجغرافيا السياسية للمحيطات، ترجمة محمد علي الأعور، وإبراهيم عبد العزيز عمر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٣م، ص١٩.

(٣) ماركريت ت. سبراوت، مصدر سابق، ص٢٠٠- ٢٠٢.

تلق في فرنسا ما لقيتها من التقدير الكبير في بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة. وكـان مـن الصعب في الواقع توقع أن يتقبل الفرنسيون بالتقدير فلسفة تختلف وتتباين مع سياستهم التاريخية[1].

وكـان لكتابات ماهان تأثير عملي على السياسة الألمانية لم يزد عليه إلا التأثـير الـذي كـان لها في الولايات المتحدة.. ولم يكن لألمانيا -على خلاف بريطانـيا وفرنسـا- تاريخ بحري على الإطلاق، ومن ثم فإن تقاليدها البحرية كانـت قليلة، وهكذا كان الضباط الألمان تواقين لتقبل العقائد الاستراتيجية التي صاغها ماهان.. وقد اعتبر كارل هاوسهوفر، اعتبر ماهان مفكراً جيوبولتيكياً فذاً وجّـه الولايـات المتحدة في الطريق الصحيح نحو العظمة، وكان هو الذي علم السياسيين الأمريكيين أن يفكروا كقوة عالية تتوافر لها مساحة عظيمة[2].

عـلاوة على ذلك، فإن اصطلاحاً قد ظهر عام ١٩٠٢م في السنة نفسها التـي ظهـر فيها مصطلح الشرق الأدنى Near East الذي جاء به عالم الآثار الإنجلـيزي D.G. Hogarth هـذا الاصطلاح له أهمية كبيرة من حيث أنه أكثر ارتـباطاً بالأبعـاد الاستراتيجية والجيوبولتيكية. هذا المصطلح الجديد الذي هو (الشـرق الأوسط Middle East كان من اختراع الفرد ثاير ماهان الذي كان أول مـن اسـتخدم هـذا التعبير في مقالة كتبها عام ١٩٠٢م للمجلة اللندنية الفصلية الرصـينة National Review كان عنوانها الخليج "الفارس العربي في العلاقات الدولية" ودرس فيها ماهان المنافسة الروسية -الإنجليزية التقليدية في بلاد فارس وآسـيا الوسطى بالقرب من حدود الهند على ضوء العنصر الجديد الذي أضفى عليه أهمية كبيرة وهو مشروع خط حديد بغداد -برلين الألماني الذي تقع محطته النهائية في منطقة الكويت على الخليج العربي.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٥٣- ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٦- ٢٠١٤.

ولـم يكن في ذهن ماهان أية حدود جغرافية محددة لمصطلحه هذا فلقد رآه كمفهوم استراتيجي متحرك متغير أكثر مما هو مكان جغرافي ثابت. فبالنسبة إلـيه يعتبر الشرق الأوسط (منطقة غير محددة تحرس جزءاً من الطرق البحرية مـن المـويس إلـى سـنغافورة، ومنطقة ربط تتجمع فيها القوى الاستعمارية الأوروبية الرئيسية من أجل السيادة على العالم... وفي الحقيقة كان ماهان يلفت الانتـباه للشرق والخليج العربي كساحة دائمة للمواجهة الاستراتيجية بين القوى المتنافسة منذ أوائل ١٩٠٢م[١].

ورغم ما لقيته آراء ماهان من اهتمام، إلا أن هناك من انتقد هذه الآراء مثل (هومرلي Homarlea) الصيني الأصل والأمريكي الجنسية الذي تنبأ بعدم كفاية وسائل الدفاع البريطانية لمواجهة التهديدات المتزايدة لممتلكاتها البعيدة وأنه لا مفر من هجوم القوى المنافسة لها في هذه المناطق[٢].

ومـن الانـتقادات التـي وجهت إلى مفهوم القوة البحرية ما صرح به الجغرافـي البريطاني (هالفورد ماكندر) من أن قوة الأسطول البريطاني -الذي اتخذه ماهان مقياساً للقوة البحرية- ترجع في الأساس إلى موقع الجزر البريطانية بالقـرب من كتلة اليابس الأوروبي، وكذلك إلى اعتماد بريطانيا في قوتها على مـوارد مسـتعمراتها وتوابعهـا الـبرية وإسناد قوتها البحرية بقواعد عسكرية قارية[٣].

ومـن خـلال تجارب الحرب الكورية ومظاهر التسابق في التسلح بين الـدول انـتقد (والتر ملز Walter Millis) مفهوم القوة البحرية وقال بأن ماهان

---

(١) مروان بحيري، مصدر سابق، ص١٨٧.

(٢) علي أحمد هارون، مصدر سابق، ص٣١٧.

(٣) نـافع القصـاب وصـباح محمود وعبد الجليل عبد الواحد: الجغرافيا السياسية، جامعة الموصل، ١٩٨٠م، ص١٤٦.

أعطى للقوة البحرية درجة أكثر فاعلية في أحداث التأثيرات في حدود إمكانياتها وقدراتهـا، وعلى هذا الأساس أعطاها صفة الاستغلال في إحراز النصر، بينما يـرى (ملز) تعادل القدرة الفاعلة لكل من القوة البحرية والقوة البرية في الهجوم والحصار.

ومـن المـآخذ التـي وجههـا (ملز) للقوة البحرية هو الادعاء بإمكانية السـيطرة علـى البحر بصورة كاملة. وهذا لا يتفق مع حقيقة الأمر، ذلك لأن صعوبة السيطرة على البحر بكامله لا يختلف إطلاقاً عن صعوبة السيطرة على البر بكامله.. ولهذا فقد تبنت الدوائر العسكرية الأمريكية بعد عام ١٩٤٥م مفهوم (وحـدة القـوى العسـكرية) الذي يتضمن استخدام الطائرة والسفينة والآليات الأرضية مرة واحدة بحيث تشكل جميع هذه الأصناف وحدة حربية متكاملة[١].

إن تطـورات فنـية وآلية كانت هي الأخرى تدور وتحدث فتضعف من الأهمية العسكرية والسياسية التي للقوة البحرية، وأحد هذه التطورات كان تحسين الخطوط الحديدية وتحسين النقل البري في قارة أوروبا.

وتطـور آخـر لم يدرك تماماً حتى قيام ألمانيا النازية وهو صنع المواد الخـام ذات الأهمـية الاستراتيجية والتي كانت أوروبا فيما سبق تجيء بها عبر البحار[٢].

وكذلـك نتـيجة للتطورات التقنية، التي تشمل الأسلحة النووية والوقود النـووي والغواصـات والطائرات بعيدة المدى، فقد أصبحت التطبيقات العملية لتصورات ماهان موضوعاً ذا أهمية تاريخية فحسب على حد رأي بريسكوت[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٧.

(٢) ماركريت.ت. سيراوت، مصدر سابق، ص١٤٢.

(٣) ج. بريسكوت، مصدر سابق، ص١٩.

وقد سئل ماهان في معهد الخدمة المتحدة الملكية Royal United servece Institute عام ١٨٩٥م عن رأيه فيما إذا كان الحصار البحري القريب الذي كانت الاستراتيجية البحرية تستند إليه في الماضي يمكن أن يتم أيضا في ضوء وجود البخار والصلب والطوربين، فكانت إجابة ماهان مجملة في كلمة واحدة هي (نعم)[١].

وفي ضوء هذا، وفي ضوء مسائل أخرى، كان من الضروري إعادة تقدير قيمة العوامل الستة التي ذكرها ماهان -والتي أجملناها هنا في ثلاث مجموعات من الفروض- كدعائم للقوة البحرية، ولكن من الواضح -كما ترى ماركريت سبراوت- أن آراءه الأساسية لا تزال معقوله، ولا تزال عوامل الموقع، التنسيق الطبيعي بما في ذلك الجو والموارد الطبيعية، وطبيعة الناس، ثم طبيعة الحكومة القائمة بالأمر، لا تزال هذه كلها العوامل الرئيسية التي تؤثر في القوة البحرية لأية أمة[٢].

---

(١) ماركريت ف. سبراوت، مصدر سابق، ص١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٩.

الفصل الثاني

نظرية قلب الأرض لـ (ماكندر)

إن الدراسة الأكثر أهمية من دراسة ماهان حول تأثير القوة البحرية في التاريخ هي دراسة هالفورد ج. ماكندر التي قدمها إلى الجمعية الجغرافية الملكية في لندن عام ١٩٠٤م، والتي خضعت للمناقشة لمدة تقرب من نصف قرن واستمرت كجزء من القراءات الأساسية في الجغرافيا السياسية. فنحن هنا أمام ورقة عمل تحتوي على كل من تحليل النمط السياسي للعالم، والتنبؤ القائم على هذا التحليل ومناقشة ماكندر تكاد تنحصر في فكرة موجزة هي أن الحضارة الغربية من نتاج النضال العالمي ضد الغزو الآسيوي هذا التعميم يحاول إثباته بإظهار التفاصيل التاريخية.. وأن الإقليم الذي يأتي منه الغزاة هو أراضي الإستبس في وسط آسيا التي تتمتع بقابلية حركة عالية للخيول والجمال horse and camel mohility التي تكون سهلة فوق الاستبس والذين يستطيعون الحركة بأي اتجاه من منطقتهم المحورية وبهذا فإنهم أثر على تاريخ الشرق الأوسط وجنوب وشرق آسيا وكذلك على تاريخ أوروبا[1].

وقد مال ماكندر، إلى التركيز على مسألة استخدام الجغرافيا كعلم للطبيعة في فهم السياسة وخدمتها كموضوع له دلالات حاسمة. كتب يقول في مقدمة حديثه حول(المحور الجغرافي للتاريخ) عام ١٩٠٤م، (الإنسان وليس الطبيعة يبدأ ويبادر ولكن الطبيعة إلى حد كبير تتحكم واهتمامي هو في التحكم المادي العام الذي تفرضه الطبيعة على الإنسان وليس في أسباب التاريخ الكوني) ولا يرتبط

---

(١) Norman pounds (political Geography) 2nd ed., Megraw Hill, N.Y., 1972, P.426.

هـذا التحكم عند ماكندر بدراسة عينية محددة بل هو تعميم نظري يعطي العامل الجغرافي الطبيعي دوراً حتمياً وحاسماً في تقرير مصير الأحداث السياسية، ناهيك عن تبريرها.

وقد اعتمد منهج ماكندر في صياغته على الأمور الأساسية التالية[1]:

١- اعتبار العالم نظاماً واحداً مغلقاً وذلك من زاوية رؤية ارتباطاته المتبادلة السياسية والاقتصادية والعسكرية، مؤكداً أنه في التحليل النهائي كان يمكن لكل دولة في العالم أن تنخرط في الحرب الأخيرة (الحرب العالمية الأولى) لو طالت تلك الحرب أكثر.

٢- حصر اهتمامه في التحكم المادي أو الجغرافي الذي تفرضه الطبيعة على الإنسان وأعطاه دوراً حاسماً في تقرير مجرى الأحداث على المدى البعيد، هكذا حقق تحليله لدخول الإمبراطورية البريطانية الذي استند إلى البعد الجغرافي بمنأى عن أي بعد اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي. وهنا يكمن لب نظريته، وهنا أيضاً يكمن مأزقه اللاعلمي أيضا.

٣- اعتباره أنه في الحقبة الحالية نواجه للمرة الأولى وضعاً يسمح بمحاولة وضع، وإلى درجة من الكمال، علاقة متبادلة بين التعميمات الجغرافية على مستوى كبير وبين التعميمات التاريخية على المستوى نفسه.

١- حياة ماكندر واعماله

ولد هالفورد جون ماكندر Halford John Mackinder في مدينة جانزوبورو Gainsborough بمقاطعة لنكولنشاير Lincolnshire في الخامس عشر من شباط (فبراير) عام ١٨٦١م لأب من أصل اسكتلندي كان يعمل طبيباً.

---

(١) أحمد البرصان: هالفورد ماكندر ونظرية قلب العالم" الجيوستراتيجية، الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ١٠، ١٩٨٤م، ص٢٨٢- ٢٨٣.

درس في بداية حياته العلوم الطبيعية والبيولوجية ثم واصل دراسته في التاريخ والقانون والجغرافيا. وقد اكتسب شهرة واسعة من خلال محاضراته في الجغرافيا، ما بين ١٨٨٥- ١٩٠٣م، والتي كان يلقيها أثناء تنقله بين البلاد، داعيا فيها إلى ما أسماه (الجغرافيا الجديدة) ومن أشهر المحاضرات التي ألقاها في تلك الفترة واحدة تحت عنوان (حول هدف الجغرافيا وأساليبها) في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧م، حيث ناقش فيها ضرورة (دمج الجغرافيا السياسية بالجغرافيا الطبيعية) وضرورة (إضفاء قاعدة محددة على الجغرافيا بدل أن تكون مجرد كم من المعلومات) مؤكداً على أن ما يزيد من إلحاحية هذه الضرورات هو (نهاية الاكتشاف على الكرة الأرضية).

إن آراء ماكندر تلك حول (وحدة الجغرافيا) وضرورة دراستها كأجزاء مندمجة في عالم أصبح (نظاماً مغلقاً Closed system) شكلت الأساس الذي تطورت عنه الجغرافيا الأكاديمية البريطانية الحديثة وكانت أيضاً مقدمة لتطوير ماكندر حول مفهوم الجيوبتراتيجيا وستظهر لاحقاً أسس نظريته الخاصة حول (قلب العالم) في أطروحته التي قدمها في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤م، تحت عنوان (المحور الجغرافي للتاريخ The Geographieal Pivot of History) قبل أن تتطور في كتابه (المثل الديمقراطية والواقع Democratic Ideals and Reality) عام ١٩١٩م، عيّن ماكندر عام ١٨٨٩م في جامعة اكسفورد وفي ذلك الوقت ثم تأسيس قسم الجغرافيا فيها فأصبح ماكندر أول رئيس له. ولاهتمام ماكندر بالشؤون السياسية فقد عيّن عام ١٨٨٣م رئيساً لاتحاد اكسفورد، ثم رئيساً لمدرسة لندن للعلوم الاقتصادية (١٩٠٣- ١٩٠٨م) وعضواً في مجلس العموم البريطاني (١٩١٠- ١٩٢٢م). وقد حصل على ميدالية الجمعية الجغرافية سنة ١٩٤٥م، كما ترأس بعض البعثات الخارجية إذ عهد إليه سنة ١٩١٩م ترؤسه بعثة إلى جنوب روسيا بعد ثورة ١٩١٧م. وأصبح

فـيما بيـن ١٩٢٠- ١٩٤٥م رئيساً للشركة الإمبراطورية للملاحة Imperial shipping company حتى وفاته عن عمر ستة وثمانين عاماً[١].

٣- فروض نظرية ماكندر ومنطوقها

حيـنما وضـع ماكـندر نظريته كان شعوره بأن مصير الصراع الدائم والمسـتمر لتحقيق النصر هو في النهاية بجانب القوة البرية وليس بجانب القوة البحرية.

وللتدليل على ذلك اتبع الخطوات التالية[٢]:

لاحـظ ماكـندر أن $\frac{3}{4}$ مسـاحة سطح الكرة الأرضية تغطيها المياه وليس ذلك فحسـب، بل رأى أيضاً بأن ثلثي الربع الباقي (وهو اليابس) يمثل الأرض التي تحـتلها قـارات أوروبا وآسيا وأفريقيا. ثم نظر إلى المسطحات المائية ووصفها بالوحدة الطبيعية المتكاملة وأطلق عليها مصطلح (محيط العالمWorld Ocear). كمـا نظـر إلـى القارات الثلاثة كوحدة طبيعية وعبر عنها بـ (جزيرة العالم World Island). ووجـد كذلك أن $\frac{7}{8}$ سبعة أثمان من سكان العالم يقطنون في كـتلة الأرض الأوراسـية – الإفريقـية، في حين يتوزع الثمن الباقي على بقية القارات والجزر المنتشرة في المحيطات والبحار. وقد لاحظ أيضاً وجود سهول داخلـية واسـعة ضمن كتلة أوراسيا تتمتع بحماية طبيعية من مختلف الجهات.

---

(١) المزيد من التفصيل عن حياة ماكندر ينظر

B.W.Blonet (Halford Machinder, some New Perspectives Oxford, Oxford School of Geography, Research paper 13, 1975. نقـلا عن أحمد البرصان، مصدر سابق، ص٢٨٠- ٢٨١.

(٢) أخذت هذه المعلومات من المصدر التالي: نافع القصاب وصباح محمود وعبد الجليل عبد الواحد، الجغرافيا السياسية، جامعة الموصل، ص١٢٨- ١٣٥.

وهـذه السـهول هـي تلك التي تمتد من البرزخ الواقع بين بحر البلطيق شمالاً والبحر الأسود جنوباً وعلى مسافة ٢٥٠٠ميل حتى نهر ينسي Yenisy أو هضبة لينالـنر شـرقاً، أي بمعـنى آخر تلك السهول المحصورة بين المحيط المتجمد الشمالي حتى الحوافز الجبلية التي تمتد اعتباراً من تركيا ولغاية منغوليا.

تضـم هـذه السـهول المحددة بالشكل الآنف الذكر مساحة واسعة تقدر بحوالي أربعة مليون ميل مربع.

وتمـتاز هذه الأراضي السهلة بأنها ذات إمكانات اقتصادية هائلة بسبب غنى الموارد الطبيعية فيها. وهذا السهل هو الذي أطلق عليه ماكندر قلب الأرض أو مـنطقة السـويداء لما يتمتع به من الخصائص الجغرافية التي تحميه من أي غزو خارجي.

فقسم من أنهاره تتميز بالتصريف الخارجي مثل نهر لينا وينساي وأوبي التـي تنسـاب مياهها باتجاه الشمال إلى المحيط المتجمد الشمالي. والقسم الآخر يتصـف بالتصـريف الداخلـي أي أن مياهها تتصرف نحو المسطحات المائية الداخلـية كبعض البحار الملحية المغلقة مثل نهر الفولجا الذي ينصرف إلى بحر قزوين. ونهرا سيحون وجيحون إلى بحر آوال. وهذا يعني أن أنهاره بعيدة عن منال المواصلات البحرية والنهرية.

إن المـنافذ المائية الوحيدة التي تستطيع عن طريقها قوات بحرية معادية أن تفتحم هذا القلب هي بحر البلطيق والبحر الأسود، علماً بأن مياه بحر البلطيق الساحلية تتجمد لفترة ثلاثة أشهر في السنة أيضاً.

أمـا الحدود البرية لهذا القلب فهي في مأمن من الهجوم الخارجي كذلك وذلـك بسبب وجود حوافز جبلية وهضبية تحول دون ذلك. ففي الشمال الشرقي مـن مـنطقة القلب يوجد إقليم (لينا لاند Lenaland) وهذا الإقليم هو عبارة عن هضـبة وعـرة جداً ضمن منطقة شرق سيبيريا التي تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين

ميل مربع أما من الجهة الجنوبية الشرقية فتوجد سلاسل جبلية ضيقة أهمها جبال التاي Altai وتيان شان Tien shan التي تمتد عبرها الصحاري القاحلة لإقليمي منغوليا Mongolia وسينكيانك Sinkiang ومن جهة الجنوب تحادد القلب جبال هندكوش وهضاب أفغانستان كما تمتد جبال القفقاس بين بحر الخزر والبحر الأسود، وتقع هضبة أرمينيا خلف هذا الجبال أيضا. ومن الطرف الجنوبي الغربي توجد جبال الكربات التي تؤلف حاجزاً دفاعياً طبيعياً.

وهناك بحر البلطيق وفيافي اللابلاند Lappland في الشمال الغربي. أما المحيط المتجمد الشمالي فيحادد القلب من الشمال والمسافة طويلة جداً، وهو بعيد عن خطوط الملاحة البحرية نظراً لتجمده طول السنة تقريباً باستثناء فترة قصيرة خلال الصيف وبالقرب من السواحل فقط.

إذن فالجبهة الغربية هي الوحيدة التي تتمثل فيها أرض سهلية تقع بين جبال الكربات وبحر البلطيق.

وهي لهذا تمثل مصدر الخطر على قلب الأرض لأنها استخدمت عدة مرات عبر التاريخ من قبل الطامعين بالاستيلاء على هذه المنطقة.

ومن المميزات التي يتمتع بها هذه القلب هو موقعه الجغرافي المركزي بالنسبة لروسيا، وسهولة الحركة التي يقدمها بصفته سهلاً منبسطاً وواسعاً. ولذلك توقع ماكندر إمكانية انتشار السكك الحديدية في أرجائه المختلفة واستخدام أجوائه في النقل الداخلي، مما سيؤدي بالتالي إلى توسعه وازدياد ضغطه على جميع الأطراف.

وقد استنتج هذا الافتراض من خلال الأحداث التاريخية التي عاشها هذا الإقليم، فقد كان موطناً للجماعات الرعوية المتنقلة من أصحاب الخيول والإبل، تلك الجماعات التي شنت هجماتها عبر التاريخ باتجاه المناطق المجاورة ومثلت ضغوطاً بالغة الأثر على منطقة الشرق الأوسط وجنوب شرق وشرق آسيا وعلى

قارة أوروبا أيضاً.

ولم تشر مصادر التاريخ القديم والوسيط إلى غزو قلب الأرض من الخارج.

وقد افترض ماكندر قلب ثانوي هو أصغر من القلب الرئيسي وأطلق عليه بـ (القلب الجنوبي) تمييزاً له عن قلب الأرض الذي يقع في الشمال من الكرة الأرضية.

وحدد هذا القلب من قارة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث اعتبر هذه الصحراء حاجزاً طبيعياً يفصل بين المجموعة القوقازية والمجموعة الزنجية، ولاحظ ماكندر بأن هناك تشابهاً بين القلبين في ظروف التصريف المائي، حيث وجد مياه القلب الجنوبي تفيض من الهضبة الداخلية إلى أنهار النيجر والكونغو والزمبيزي والأورنج واللمبوبو التي لا تصلح مجاريها الدنيا للنشاط الملاحي بسبب اعتراض مياهها للشلالات الواقعة بالقرب من مصباتها في المحيط.

ولهذا أصبح القلب الجنوبي في مأمن من غزو القوات البحرية أو النهرية.

كما يوجد تشابه بينهما في ظروف الغطاء النباتي أو تغطي كل منهما الغابات الكثيفة بمساحات واسعة.

وقد اعتبر منطقة الوطن العربي بجزأيه الأفريقي والآسيوي جسراً برياً يربط القلب الشمالي بالقلب الجنوبي، حيث يتصل القلبان ببعضهما عبر مسافة تبلغ ثمانمائة ميل من النيل غرباً وإلى ما وراء الفرات شرقاً، وكذلك المسافة ألف وثمانمائة ميل من جبال طوروس في الشمال إلى خليج عدن في الجنوب.

وقد شاهد ماكندر قوساً في المناطق الساحلية يحيط بمنطقة قلب الأرض أطلق عليه الهلال الداخلي Inner crescent ويتألف هذا القوس من سواحل أوروبا الغربية وصحراء شبه الجزيرة العربية والأقاليم الموسمية في قارة آسيا

كالهند وجنوب شرق آسيا والجزء الأعظم من الصين.

ويمتاز قسم من دول الهلال الداخلي بكونه بحري التوجه والآخر قاري الميول.

إلا أن الصفة المشتركة في وحدته الطبيعية تظهر في تصريف أنهاره الصالحة للملاحة مثل نهر الراني والألب والدانوب وبانجتسي إلى البحار المفتوحة للعمليات الملاحية، يضاف إلى ذلك صلاحية ترب هذه الوديان وغزارة أمطارها مما أدى إلى ازدحام السكان فيه.

وقد تضمن الهلال الداخلي من الدول الساحلية كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا واعتبر كل من بريطانيا واليابان جزرأ متاخمة لسواحل غرب أوروبا وشرق آسيا. ووجد ماكندر أن هناك علاقة معينة بين قلب الأرض ومنطقة الهلال تتمثل بازدياد الضغط من جانب القلب نحو الهلال وسواحله.

وسوف يزداد هذا الضغط شدة بواسطة مد سكك الحديد مما سيترتب عليه سهولة الحركة والسيطرة على أقاليم الهلال في المستقبل.

ومد ميز ماكندر قوساً خارجياً يحيط بالهلال الداخلي أطلق عليه اسم الهلال الخارجي Outer crescent ويتألف هذا القوس من معظم الدول التي تعتمد الأساطيل البحرية أساساً لقوتها، تلك الدول التي استغلت مواقعها الجزرية منذ الكشوف الجغرافية وتمتعت بحرية الملاحة في جميع بحار العالم ووضعت أسس الاستعمار البحري في التاريخ المعاصر ومن هذه الدول بريطانيا واليابان وكذلك الولايات المتحدة في أمريكا الشمالية.

وقد ضم ماكندر إلى الهلال الخارجي أيضاً كل من أفريقيا اللاتينية واستراليا وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

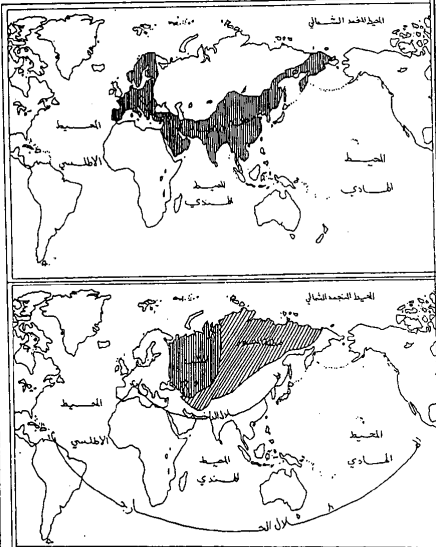

خارطة (٢)
مقارنة منطقة القلب لماكندر ومنطقة الأطراف لسبايكمان

المصدر:
Robert E Norris & Lloyd Harritical Geography Charles Merrill, ohio, 1980 P.36 P.40.
نقلاً عن عباس فاضل الدبلمي، مشكلات بناء القوة للدول الصغيرة، م.س، خارطة رقم (٢)

شكل رقم (١)

مـن الملاحظ أن ماكندر لم يعطِ أهمية تذكر للولايات المتحدة الأمريكية إلا بعـد تعديلـه لنظريـته عام ١٩٤٣م، وذلك بعد أن وجدها قد حددت مصير الحربين العالميتين وأصبحت القوى التقليدية في غرب أوروبا شبه تابع لها. ومما قاله في هذا الصدد إن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تصـبح قـوة منافسة لقلب الأرض استناداً إلى إمكانياتها الكبيرة ومؤهلاتها الدولـية، لأن تـاريخ العالم ما هو إلا صراع بين القوى البرية والبحرية. ولكنه يميل إلى انتصار الدول البرية باعتبار أن عهد الدول البحرية قد ولى وأدبر منذ انتهاء الكشوف الجغرافية.

وقـد نظر ماكندر إلى القوة الجوية كسلاح مكمل للقوة البرية وليس إلى جانـب القوة البحرية، وذلك لأن الموقع الجغرافي المركزي لقلب الأرض يعطيه ميزة كبيرة في الحرب الجوية. وعلى هذه الأساس فسوف يصبح استخدام البحار المحـيطة بقلب الأرض مستحيلاً دون الحصول على موافقة قوى البر، لأن هذه القـوى تستطيع أن تغلق الطرق الملاحية البحرية بواسطة القوى الجوية المقامة في قواعدها.

واسـتناداً إلى كل ما سبق، فقد أدلى ماكندر برأي مفاده أنه إذا أتيح لقوة مـن القوى العالمية أن تسيطر على الكتلة الأوراسية- الإفريقية (جزيرة العالم) فسـوف يكـون لهـذه القوة وضع يشجعها على القيام بغزو العالم طالما كانت سيطرتها مبسوطة على ثلثي $\frac{2}{3}$ مساحة الجزء اليابس من سطح الأرض وسبعة أثمـان $\frac{7}{8}$ من سكان العالم. وبناء على ذلك فسوف لا يكون في مقدور أية قوة بحـرية أن تتحداها. إذ سيكون في حوزة القوة البرية أمر الهيمنة على القواعد الـبحرية الواقعـة على حافات اليابس الذي تسيطر عليه. ومن هذه القواعد جبل طـارق وقـناة السـويس ومضيق باب المندب وعدن ومضيق هرمز وبومباي

وسنغافورة وغيرها كثير. وفي وسع القوة البرية هذه ذات الموارد الطبيعية المتفوقة وسكانها العديدين أن تنشئ لنفسها قوة بحرية هائلة وأن تضم إلى حضيرتها كل ما شادت من الجزر المتاخمة لسواحلها والأراضي القارية الأخرى. ويمكن تحقيق السيطرة على كتلة الأرض الأوراسية – الإفريقية من قبل قوة تحتل السهول الداخلية لكتلة أوراسيا المحمية بمظاهر طبيعية (قلب الأرض). وأن القوة التي تحتل هذه السهول سوف تكون غير معرضة للهجوم باستثناء الهجوم الذي قد يأتي عليها من الناحية الغربية. وبناء على هذه الملاحظة الأخيرة سوف يكون في إمكان مثل هذه القوة المسيطرة على قلب الأرض أن تستثمر مواردها لتكوين وتطوير وإنماء دولة زراعية –صناعية ذات بأس شديد.

ويصحب مثل هذا التطوير والنمو تهيئة الفرص لمثل هذه الدولة أن تنطلق نحو خارج حدودها لتقوم بغزو أوروبا والشرق الأوسط والهند وشرق آسيا. وعند ذاك يتاح لها بالتدرج أن تكسب الهيمنة المحددة شمال الأطلسي وشرق الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا. وافترض أن يقوم وسط وشرق أوروبا الذي أطلق عليه German realm بدور الفصل بين الحوض الأوسط من جهة وقلب الأرض من جهة أخرى ومن أجل القضاء على العسكرية الألمانية المتمركزة في الوسط دعى ماكندر إلى ضرورة التعاون بين قلب الأرض ودول الحوض الأوسط. وهذا ما حصل فعلا خلال الحرب العالمية الثانية، حينما اتحدت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي فيما سمي بجبهة الحلفاء ضد ألمانيا الهتلرية. وعلى ضوء أحداث تلك الحرب صرح ماكندر بأن التهديد الحقيقي لقلب الأرض سوف يأتي من الاتحاد السوفييتي وليس من ألمانيا وهذا الرأي جاء متأثراً بالنتائج السلبية التي حصلت عليها ألمانيا من جراء غزوها للاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١م، وقد اشتمل التعديل على تقليص مساحة قلب الأرض، بحيث استثنى منها إقليم لينالاند

Lenaland وفي ظل التطور التكنولوجي لاحظ ماكندر إمكانية استخدام المحيط المتجمد الشمالي للأغراض الملاحية، ولا سيما بعد أن رأى كاسرات الجليد تشق الطريق أمام السفن التجارية حتى وصلت إلى أنهار على الكتلة اليابسة جمعاء. وإذا ما تم لها ذلك يصبح بمرور الزمن في الإمكان ضم كل من استراليا وجميع أجزاء نصف الكرة الغربي إلى حضيرتها. وبناء على ذلك فقد وضع ماكندر نظريته حسب الصيغة التالية:

من يحكم أوروبا الشرقية يهيمن على قلب الأرض، باعتبارها الباب المفتوح إلى القلب

ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم (العالم القديم)

ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم كله.

لقد وضعت هذه النظرية في وقت لم يكن فيه التطور العلمي والتكنولوجي قد وصل مراسل متفوقة. إلا أن ماكندر أخذ يرقب التحولات المفاجئة ويواكب مسيرتها حتى توضحت له بعض الحقائق الجديدة التي حملته على إجراء تعديلات في نظريته. فالتعديل الأول أجري عام ١٩١٩م وكان مضمونه اكتشاف منطقة استراتيجية أخرى تقع جنوب الصحراء الكبرى أطلق عليها اسم (القلب الجنوبي). أما التعديل الثاني فقد جاء به عام ١٩٤٣م متأثراً بالتطورات التي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية. وهنا ظهر مصطلح جديد هو (الحوض الأوسط Midland Basin) الذي كان يقصد به المنطقة أوي ويتسي وليبنا. ولكن بالرغم من ذلك فقد آمن أيضاً باستحالة هجوم القوات البحرية عبر هذا المحيط وعبور إقليم التندرا الواقع إلى الجنوب منه ثم اختراق غابات التايكا الممتدة شمال سيبيريا. وقد أكد ماكندر على أهمية قلب الأرض وخاصته بعد انتصاره على ألمانيا خلال الحرب الثانية، حين صرح بأنه أصبح اليوم يتمتع بقوة بشرية كفؤة من حيث العدد والنوعية يمكنها حماية نفسها ضد أي غارة أو

غـزو أجنبـي. وبعد هذا التعديل الأخير صرح بأن نظريته أصبحت أكثر دقة وفائدة من ذي قبل[1].

٣ـ آراء في نظرية قلب الأرض لماكندر

أثارت نظرية ماكندر حول القوة البرية من المنظور الجيوستراتيجي من العديـد من النقاشات والمحاولات على مستويات وأماكن مختلفة لم تثره نظرية أخرى في هذا المجال مما أعطاه فرصة البقاء -كما نعتقد- لها ولبعض تطبيقاتها لمدة تقرب من القرن إذ لم تنهار معظم فروضها إلا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية عام ١٩٩٠ وتفتته -والذي كان يحتل كل قلب الأرض تقريباً وإن كان انهـياره لـيس بالوسائل الذي كان يتصورها بعض نقاد ماكندر إذ أن كثيراً من الآراء تعرضـت لماكـندر على أن قلب الأرض (الهارتلاند Heartland) ليس مؤهـلاً لحكم العالم تأهيلاً تاماً. فإلى جانب مزايا قلب الأرض والحركة نجد أن توسـط هذا القلب يجعله عرضه لائتلاف الهوامش ويركز الضرب عليه كهدف محـدد بواسطة الأسلحة الجوية الحديثة. أي أن توسط قلب الأرض لـه مزاياه وعـيوبه[2] ويرتـبط بهذه النقطة ما طرحه البعض من أن ماكندر لم يأخذ بعين الاعتـبار التطورات التكنولوجية في الأسلحة. فالسلاح الجوي والنووي قد عمل على كشف قلب الأرض للغزو وسلبه مناعته الطبيعية وعمقه الاستراتيجي الذي يتميز به وهو أمر خالفه امتلاك الاتحاد السوفييتي للسلاح النووي أيضاً.

---

(١) لعـل أهم ما يمكن أن نفسره من تغيرات آراء ماكندر في ١٩٤٣ منها في ١٩٠٤ و ١٩١٩م أنه نقـل الأهمـية الجيوبوليتيكية لقلب الأرض من مجرد الاعتماد على الموقع والتكتل الأرضي وسهولة الحـركة للقـوى القارية إلى الاعتماد على الناس والعمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة. ينظر محمـد ريـاض: الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص٨٦.

ومن العيوب الأخرى في النظرية أن ماكندر حاول أن يشرح الوضع الاستراتيجي في العالم بناء على خريطة مرسومة على مسقط مركيتور هذا على الرغم من نقص بعض أطرافها. وهذا النوع من الخرائط يشده الحقيقة. فعلى خريطة بهذا المسقط تبدد هناك مساحات واسعة غير محددة من الجليد الدائم شمال قلب الأرض. والحقيقة أن الساحل القطبي لقلب الأرض يواجه ساحل أمريكا الشمالية. واعتبر أن جليد المحيط القطبي الشمالي عبارة عن درع واقي لقلب الأرض، والحقيقة غير ذلك في الوقت الحاضر لما حدث من تقدم تقني يتعلق بكاسرات الجليد، ووسائل الكشف والإنذار. ونظراً لقصر الطريق الجوي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة (آلاسكا) عبر المحيط القطبي الشمالي فقد تحول هذا المحيط في الوقت الحاضر إلى بحر متوسط العصر الحديث بينهما، وزادت إمكانيات التدمير المتبادل بينهما عبر المحيط القطبي[1] وهو ما استثمره سفرسكي في طرح نظريته حول القوة الجوية.

وهناك من انتقد نظرية ماكندر على أساس أنه ليس فقط لم يأخذ التطورات التكنولوجية بنظر الاعتبار بل لم يأخذ التطورات الأيديولوجية أيضاً إذ أن قيام بعض الثورات الشيوعية في دول الهلال الداخلي بشكل خاص مثل الصين عام ١٩٤٩م وكوريا الشمالية ١٩٥١م وفيتنام ١٩٥٤م بل وكوبا ١٩٦٠م في الهلال الخارجي وجميعها تدعم القلب ولكن ليس بالغزو العسكري كما اعتقد ماكندر بل بما يطلق عليه حاليا بالقوة اللينة Soft Power أي الأيديولوجيا.

ومن الانتقادات الأكثر تفصيلاً وموضوعاً هي انتقادات ميننغ Meining عام ١٩٥٦م حول تحديد قلب الأرض والهلال الداخلي والعلاقة بينها إذ كان

---

(١) محمد محمود إبراهيم الديب: الجغرافيا السياسية، منظور معاصر. الأنجلو المصري، القاهرة ١٩٩٥م، ص٦٦٩ وكذلك ينظر:

Norman pounds (political Geography) Znd. Ed, Mc GrawHill, N.Y., 1972, P.428.

يرى أنه من الأفضل تحديد قلب الأرض والهلال الداخلي من أساس حضاري أو وظيفي باعتباره أكثر استقراراً ووظيفية من أساس الموقع الجغرافي بالنسبة للياس والماء. وفي ضوء هذا المعيار الحضاري فإن مينغ يحدد قلب الأرض بالمنطقة الاستبسية من قارتي آسيا وأوروبا المحاطة بالأقاليم الصحراوية. وقد حددها من الغرب بنهر الفولجا وبحر قزوين، ومن الشمال بالحافات الجنوبية للغابات الصنوبرية، ومن الشرق بسلاسل الجبال الداخلية لإقليم الحضارة الصينية، ومن الجنوب بالمرتفعات الجبلية الممتدة من سينكيانغ إلى الهملايا، إلى جبال هندكوس حتى بحر قزوين (شكل رقم ١).

ويعتقد مينغ بأن هذه المنطقة المحددة تمتاز بتشابه في الظروف الحضارية والطبيعية، كما أنها في موقع متوسط بالنسبة للأراضي المحيطة بها، وهي تسيطر على كل الطرق التاريخية التي تربط عدة مناطق من الهلال الداخلي مثل الصين والهند والشرق الأوسط وأوروبا. وقلب الأرض على هذا الأساس أصغر من ذلك الذي تضمنته نظرية ماكندر. ويتناقض هذا أيضا مع تحديد ماكندر بقلب الأرض بناء على الموقع الجغرافي والناهية الهيدرولوجية الخاصة بتصريف أنهاره. كما كان رأي مينغ أنه من الأفضل النظر إلى الهلال الداخلي من ناحية توجهاته السياسية وليس توجهاته الفيزيوغرافية (تعريف أنهاره إلى البحار المفتوحة) وذلك بالنسبة لعلاقته مع قلب الأرض والقوى البحرية.. وبما أن التوجهات الوظيفية السياسية لكل دولة من دول الهلال الداخلي – الريملاند في نظرية سيكمان – تتغير كلما حدث تغير في ميزان القوى بالعالم، فإنه من الخطأ اعتبار كل دول الهلال الداخلي ذات توجه سياسي بحري أي في صف القوى البحرية لذلك قسمها إلى دول ذات توجه بحري، ودول ذات توجه قاري[1].

---

(١) للتفصيل ينظر: محمد محمود إبراهيم الديب، مصدر سابق، ص٦٧٠– ٦٧٢.

الفصل الثالث

نظرية الإطار الأرضي لـ (سيكمان)

١ـ حياة سيكمان واعماله

نـيكولاس جـون سيكمان Nicholas John Spykman هولندي الأصل أمريكـي النشـأة عمل كصحفي في بداية حياته العملية واهتم بدراسة العلاقات الدولـية وأثـر الجغرافيا فيها وأصبح أستاذ العلاقات الدولية في جامعة Yale الأمريكـية في كاليفورنيا وهو أحد رواد مدرسة القوة في العلاقات الدولية وهو ممن اهتموا بالسيادة العالمية وتحليلها ومن آرائه أن الجغرافيا عامل أساسي في السياسـة الخارجـية للـدول لأنهـا الأكثر دواماً ومما قاله: أن الوزراء يأتون ويذهبون وكذلك الحكام المطلقون فإنهم يموتون، أما الأنهار وسلاسل الجبال فإنها باقية دواماً[1].

ومـن أبـرز أبحاثـه من وجهة النظر الجغرافية كتابه الذي نشر تحت عنوان جغرافية السلام (The Geography of The Peace) عام ١٩٤٤م أي بعد وفاتـه بعـام. وقد أوجز في هذا الكتاب عدداً كبيراً من الآراء الخاصة بالتفكير الجيوستراتيجي.

ومن هذه الآراء أن القوة الوطنية هي العامل الفاصل النهائي في سلامة الدولـة، ولا يتحقق السلام إلا ببناء قوة تدعمه ولذلك لا تستطيع أن تضع أسسه إلا الدول الكبرى.

---

١) محمد متولي ومحمود طه أبو العلا: الجغرافيا السياسية. الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص٤٠.

ومـــن آرائه أيضاً أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق سلام دائم هي إيجاد نظام جماعي للسلام مثل تأليف عصبة أمم مسلحة أو تنظيم دولي لتوازن القوى.

٢- نظرية سيكمان

ويـــرجع سيكمان اضطراب الأمن في العالم إلى عدم المساواة في توزيع القـــوة العسكرية بين الأقطار التي تعيش في مجموعة دولية وليس في ظل سلطة دولية وقد أتاح عدم وجود هذه السلطة الدولية نوع من الحرية للدول في علاقاتها الخارجية، مما أدى إلى التنافس بينها في مجال بناء القوة. ولضمان الأمن الدولي يرى سيكمان هناك ثلاثة طرق هي:

١- **طريقة فردية** وتعني أن كل دولة تبذل ما في وسعها بشكل فردي لإقامة نظام للدفاع القومي مبني على أساس الاحتماء بالتخوم الطبيعية كالجبال والصحاري والغابات والأنهار وغيرها.

٢- **طـــريقة التعاون الثنائي** بين الدول القائم على أساس اتحاد دول متساوية ومتوازنة في القوة أو على أساس المساعدات من الدول القوية إلى الدول الضعيفة.

٣- **طـــريقة الأمـــن الجماعـــي** القائم على أساس مسؤولية جميع الدول عن ضمان أمن كل دولة على غرار عصبة الأمم.

أما فيما يتعلق بنظرية ماكندر فقد اعترض عليها سيكمان بقوله (أن قلب الأرض لا توجـــد فـــيه المؤهـــلات الجغرافـــية في مجال المواصلات والحركة والفعالـــيات الاقتصادية الزراعية والصناعية التي يمكن أن تقوده لاستلام مركز القيادة في العالم، وذلك باعتباره قلباً ميتاً لا ينبض بالحياة على حد تعبير الكاتب لوقوعـــه عند المنطقة القطبية المتجمدة واحتلال الغابات الصنوبرية جزءاً كبيراً من أراضيه. كما أن جزءاً كبيراً منه يتكون من صحاري حارة وجرداء.

ولم تتوفر في قلب الأرض ثروات معدنية إلا في إقليمي تركساف الروسية وجبال الأورال. وكان يعتقد أيضا أن قوة الاتحاد السوفييتي سوف تبقى محصورة في جزئه الأدربي غرب جبال الأورال فقط، وذلك لأن التطورات الثورية في أساليب الزراعة وأدواتها ستظل مركزة في روسيا الأدربة دون سيبيريا. كما أن معظم موارد القوى المحركة وبعض المستلزمات الأخرى للصناعة يتركز في روسيا الأدربة وليس في سيبيريا أيضا.

وعلى هذا الأساس قال سيكمان من أهمية قلب الأرض والدور الذي يمكن أن يلعبه في السياسات الدولية وانتخب عنه إقليم الهلال الداخلي في فرضية ماكندر والذي أطلق عليه اسم الإطار القاري Rimland أو إطار الحافة باعتبارات الأقطار التي يتضمنها هذا الإقليم تحتوي على أكثرية سكان العالم وموارده. وقد عبر عن هذا الإطار أو المنطقة الانتقالية الوسطى بمنطقة الالتقاء أو التصادم Crush Zone بين القوى البحرية المعروفة والقوى البرية المتمثلة بالاتحاد السوفييتي، انظر شكل رقم (٢).

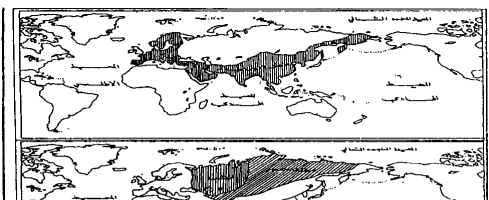

خارطة (٢٠)
مقارنة منطقة القلب لماكندر ومنطقة الأطراف لسبايكمان

وتشمل منطقة الإطار القاري كلاً من قارة أوروبا –عدا روسيا– وآسيا الصغرى والجزيرة العربية وإيران وأفغانستان وجنوب شرق آسيا وجزءاً كبير من الصين وكوريا وشرق سيبيريا. وفي ضوء آرائه انتهى سبيكان من تعديل نظرية ماكندر في الاستراتيجية العالمية على النحو التالي، ينظر خارطة مقارنة منطقة القلب لماكندر ومنطقة الأطراف لسبايكمان:

من يسيطر على إقليم الإطار القاري يتحكم في أوراسيا

ومن يتحكم بأوراسيا يسيطر على العالم

وعلى صعيد الموقف الدولي قسم سبيكمان الكرة الأرضية إلى قسمين هما:

١- **القسم الشرقي** ويضم كل من قارة أوروبا وآسيا وأفريقيا واستراليا.

٢- **القسم الغربي** ويتألف من الأمريكتين الشمالية والجنوبية.

ثم رأى بأن القسم الشرقي من الكرة الأرضية يطوق الأمريكتين من حيث الموقع والاتساع والشكل وأن مساحته تبلغ مرتين ونصف بقدر مساحة القسم الغربي. كما أنه يضم من السكان عشرة أمثال سكان الأمريكتين، ويحتضن من مادتي الحديد والفحم كميات كبيرة حتى بلغ إنتاج العالم القديم منهما عام ١٩٣٧م أكثر من ثلثي إنتاج العالم.

وعلى هذا الأساس من التحليل العلمي قدر سبيكمان عدم تمكن صمود القسم الغربي من العالم أمام القسم الشرقي في حالة قيام حرب عالمية بينهما. لذلك أخذ ينصح الولايات المتحدة الأمريكية بأن تبذل كل ما في وسعها بالطرق الدبلوماسية لعرقلة أي نوع من التعاون أو التقارب بين آسيا وأوروبا والذي قد يؤدي إلى تدعيم قوة الجبهة الشرقية. ولم يكتف بذلك فقط وإنما دعاها إلى أن توجه سياستها نحو التحكم في دول منطقة الإطار القاري. أو على الأقل عرقلة جهود روسيا الرامية إلى السيطرة على دول تلك المنطقة.

وفيما يتعلق بالقارة الأوروبية وسواحلها فقد رأى بأنه لا يمكن السيطرة عليها إلا بالتعاون بين القوى البحرية والبرية وباتفاق يتم بين بريطانيا وروسيا وأمريكا.

وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية وبدأ الألمان سنة ١٩٤٢م بالتوسع في شرقها شمالاً حتى رأس Cape North وجنوباً إلى دكار. ثم امتد النفوذ الياباني يتوسع عن غربها من منشوريا شمالاً إلى سواحل الصين، وإلى نيوغينيا وجزر سولومون جنوباً، أدركت الولايات المتحدة الأمريكية خطورة الوضع بالنسبة لها وقد ازدادت مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أن تم تحالف ألمانيا مع اليابان، لأن في ذلك محاولة لتطويقها ثم عزلها وبعد ذلك جذبها بقوة أوراسية متحدة تقضي على أمنها واستقلالها. ولذلك كان سبيكمان يحث الولايات المتحدة أن تدخل الحرب العالمية الثانية مبكراً لحماية نفسها وأن تعمل جاهدة على عرقلة أي اتحاد قوي أو ظهور أية دولة كبرى تنافسها في منطقة العالم القديم حتى لا تكون مجبرة على إشعال حرب عالمية ثالثة في المستقبل. وبالفعل دخلت الولايات المتحدة الحرب بالاتفاق مع دول الحلفاء لإيقاف المد الألماني الذي كان مرشحاً للسيطرة على جميع أقطار الإطار القاري وبالتالي على العالم كله بسبب تفوق الألمان في القوة البحرية والجوية والبرية عن طريق استخدام مجموعة كبيرة من القواعد البحرية والجوية المنتشرة حول أوراسيا.

وقد أوصى سبيكمان الولايات المتحدة الأمريكية بأن تقيم لقوانها قواعد عسكرية بحرية وجوية في الجزر والبحار المحيطة بكتلة أوراسيا، وأن تصبح قضية توازن القوى في هذه المنطقة مسألة تهمها بعد عام ١٩٤٥م، وهذا ما يجري فعلاً حتى يومنا الحاضر.

ومن تكهناته أيضاً أن يلعب كل من الاتحاد السوفييتي والصيني دوراً في ممارسة الضغط على دول الإطار القاري (الرملاند) بعد الحرب العالمية

الثانية[1].

كما أوصى سبيكمان بأن تقوم القوى البحرية ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة على الإطار القاري (الحافة الأرضية) وذلك بتشجيع تقسيمها إلى دويلات صغيرة بقدر الإمكان حتى تتمكن من السيطرة على هذه الدويلات ويبدد ذلك من دور الولايات المتحدة في تشجيع انقسام كوريا إلى دولتين وكذلك فيتنام (ثم توحيدهما بعد هزيمة الولايات المتحدة في الحرب الفيتنامية) والوقوف إلى جانب إحداها ضد الأخرى، كما كانت تشجع على قيام دولتين ألمانيتين (ثم توحيد ألمانيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي).

كما دعى سبيكمان إلى قيام أحلاف عسكرية في هذا النطاق ولذلك قام حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا لتغطية الإطار القاري ومقاومة القوة البرية المحتلة في الاتحاد السوفييتي قبل تفككه[2].

تقييم نظرية الحافة الأرضية (الرملاند) لسبيكمان:

يمكن القول أن نظرية سبيكمان مكملة لنظرية ماكندر وليس معارضة ولكن نقطة الاختلاف هي موقع المحور الجغرافي ففي الوقت الذي ارتكز فيه ماكندر إلى تاريخ طويل من الأحداث لتأكيد أهمية المحور الجغرافي الذي أسماه قلب الأرض والمتمثل في روسيا، بينما أكد سبيكمان على الهلال الداخلي من نظرية ماكندر والذي أسماه (الحافة الأرضية أو الإطار القاري Rimland) باعتبارها المحور الجغرافي الذي يحدد مصير الأمم والسيطرة الجيوستراتيجية وهذه الفكرة هي التي أطرت السياسة الخارجية الأمريكية لما بعد الحرب العالمية

---

(١) نافع القصاب وصباح محمود وعبد الجليل عبد الواحد:الجغرافيا السياسية، جامعة الموصل، ص١٤٩- ١٥٣.

(٢) علي أحمد هارون، مصدر سابق، ص٣٣٧.

الثانية حيث تبنت سياسة الاحتواء containment ضد الاتحاد السوفييتي. وكان توجه سياسة الولايات المتحدة نحو الصين الشعبية والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا متأثراً بنظرية ماكندر.

فمثلا يقول ماكندر في نظريته أن القوى القارية يمكن أن تسيطر على القوى البحرية من خلال مهاجمة موانئ القوى البحرية أو عن طريق وصول القوى القارية للبحار والمحيطات.

لذلك تركز الولايات المتحدة على إحكام نفوذها على ما يسمى بالهلال الداخلي في نظرية ماكندر وذلك من أجل الحد من النفوذ السوفييتي وعدم وصوله إلى الممرات البحرية. ونجد الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون يقول (إن الاتحاد السوفييتي قوة برية وأن أمريكا قوة بحرية تعتمد على المحيطات والمواصلات البحرية لذلك لا بد من بقاء روسيا خارج المحيطات) وهذا ما يؤكده الجغرافي الأمريكي (كوهين) بأن على الولايات المتحدة أن تبقى مسيطرة على المواصلات البحرية لتأمين خطوط تموينها ومواصلاتها وذلك لأهميتها الاقتصادية لأمريكا. إن ماكندر نفسه قد نبّه إلى أهمية المواصلات وخاصة سكة حديد سيبيريا، والتي تجعل روسيا تتحرك بسهولة داخل منطقة الهلال الداخلي حسب مفهومه. وبهذا الخصوص أشار مينغ Meining إلى أن الاتحاد السوفييتي يستطيع عن طريق تغلغله الاقتصادي والسياسي في منطقة الأطراف المحيطة به Rimland حسب سبيكمان، السيطرة على أوراسيا بهذه الأساليب بدلاً من استعمال القوة العسكرية.

وخلاصة القول، إن نظرية ماكندر أثرت في استراتيجية الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة فيما بعد الحرب العالمية الثانية بعد ظهور نظرية سبيكمان. ويشير والترز Walters أن نظرية قلب العالم تعتبر الأساس في الفكر العسكري الغربي لذلك أقامت مجموعة من الأحلاف العسكرية ضد الإتحاد

السوفييتي _حسب دعوة سبيكمان- وكذلك يشير كل من سمجونوف J.N. Semjonov الروسي وشولر Scholler بأن إحاطة روسيا بالأحلاف الثنائية أو الجماعية وغيرها إنما هو تطبيق لنظرية ماكندر وسبيكمان ومع أننا نرى أن سياسة الولايات المتحدة خاصة منذ عن نيكسون مروراً بكارتر تركز على سياسة الحد من النفوذ السوفييتي باستراتيجية تتبنى وجهة نظر ماكندر في سياستها مع الصين الشعبية وذلك للاستفادة منها ضد روسيا.

فماكندر اعتبر الصين جزءاً من الهلال الداخلي لقلب العالم بينما اعتبرها سبيكمان من ضمن نطاق منطقة الأطراف Rimland والذي يسيطر على أوراسيا وبالتالي على العالم حسب رأي سبيكمان. لذلك نجد أن كيسنجر استعمل ما يسمى (الخطة الصينية China chart بإدخاله الصين هيئة الأمم المتحدة وذلك لجرها ضد روسيا. كما أن بوجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر للأمن القوي، سار على سياسة استمال الصين الشعبية، ومن هنا نلاحظ تزويد الصين بالتكنولوجيا العسكرية الأمريكية.

والملاحظ أن ماكندر قد طرح سابقاً أن تنظيم واستغلال اليابان للصين يمكن أن يؤدي إلى التغلب على قلب العالم. ولذلك نجد التعاون الياباني – الصيني ومحاولة اليابان المساعدة في مد سكة الحديد ونقل التكنولوجيا للصين والاتفاق التجاري الصيني- اليابان ومعاهدة الصداقة الصينية –اليابانية في ١٢ تموز/ يوليو عام ١٩٧٨م، إنما هي محاولة للحد من النفوذ السياسي السوفييتي في جنوب شرق آسيا.

ونلاحظ أن فربيغنيو بريجنسكي قد ذكر في محاضرة له في جامعة هارفارد في حزيران ١٩٨٣ أن المثلث الاستراتيجي الجديد الذي يربط الولايات المتحدة مع الصين الشعبية واليابان قد يصبح في وقت قصير أكثر أهمية من

حلـف الناتو Nato نفسه خاصة وأن مصالح الولايات المتحدة أكثر اتجاهاً نحو المحيط الهادي[1].

وربما أيضا هذا هو السبب في رفض الصين إقامة تحالفاً استراتيجياً مع روسـيا حالـيا عندما زارها بريماكوف، ضد الولايات المتحدة وهيمنتها كقوى عظمى وحيدة للعالم.

(١) أحمد البرهان، مصدر سابق، ص٢٩١- ٢٩٣.

الفصل الرابع

نظرية القوة الجوية لـ (سفرسكي)

١- حياة سفرسكي

الكسندر دي سفرسكي Alezander de Seversky كان أحد أبطال الجو السوفييتي في الحرب العالمية الثانية وبعدها عين ملحقاً جوياً في السفارة السوفييتية في واشنطن، ونظراً لخلفياته الأرستقراطية وكونه من روسيا البيضاء فقد خان وطنه الاتحاد السوفييتي وطلب اللجوء السياسي من الولايات المتحدة. وبعدها أصبح يعمل مع وزارة الدفاع الأمريكية خبيراً جوياً في مجال الاستراتيجية الأمريكية.

واقترح على الولايات المتحدة عام ١٩٤٩م، إنشاء استراتيجية جوية جديدة تقاس مع تطور السلاح التكنولوجي في مجال الطيران العسكري وكانت من جملة آرائه أو نظريته هذه والتي طبقتها الولايات المتحدة هي السيطرة الجوية على منطقة القطب الشمالي وذلك بتوفير سلاح جوي كبير وقوي ذي مميزات متطورة وبناء خط رادار يمتد على شكل قوس كبير مبتدئ من آلاسكا إلى شمال كندا فشبه جزيرة البرادور فجزيرة نيوفاوندلاند فجزيرة كرينلاند فجزيرة آيسلندا فاسكتلندا في بريطانيا فالنرويج وفعلاً فقد أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية ذلك الخط الراداري أي خط الإنذار المبكر والذي له قابلية المعرفة والتحقق المؤكد بتحركات القوات الجوية السوفييتية بمختلف أنواعها بوقت قليل من بدء تحركاته حتى يعطي الإنذار للولايات المتحدة ضد أي هجوم مباغت أو مفاجئ.

٢- نظرية سفرسكي

ويعطي سفرسكي أهمية عظمى للقوة الجوية ويعتقد أن السيادة الجوية تجعل تحت رحمتها القوة البرية والبحرية. كما يعتقد إمكانية تحقيق سيطرة جوية تامة. وأن اختياره لمنطقة القطب هذه كان لعدة أسباب مهمة وعلى رأسها قرب المسافة والزمن عبر منطقة القطب الشمالي في حالة الهجوم من قبل الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي. كما أن السيطرة على هذه المنطقة الخالية من السكان والفعاليات الاقتصادية يقلل من التضحيات البشرية ويقوم من ناحية أخرى بتطويق منطقة القلب وتهديدها إذا ما خطر لها التحرك وتطبيق مبدأ السيادة والهالية. أي أنه مكمل من ناحية الشمال للطوق الذي ضربته الأحلاف العسكرية حول منطقة القلب في الاستراتيجية[1] كما دعى لها سبيكمان.

وقد قام سفرسكي بوضع أفكار نظريته بكتابه القوة الجوية مفتاح البقاء Air Power: Key to Survival عام ١٩٥٠م وقد رسم في هذا الكتاب خريطة للعالم على أساس المسقط القطبي للمسافات والانحرافات الصحيحة وتبعا لذلك أصبح النصف الغربي للعالم يقع في جنوب القطب والنصف الشرقي الممثل في أوراسيا في شمال القطب. وقد كان الهدف من هذه الخريطة هو تحديد مجال قدرة القوة الجوية التابعة لكل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وإمكانية سيطرتها على قارات العالم، بعد أن اقتنع سفرسكي بفكرة تفوق السلاح الجوي وإخضاعه القوة البرية والبحرية.

وقد حدد سفرسكي على هذه الخريطة دائرتين صغيرتين الأولى منهما تمثل القلب الصناعي الروسي، والثانية تمثل القلب الصناعي الأمريكي.

---

(١) صبري فارس الهيتي: الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٠، ص١٩٦- ١٩٧.

وأمـــا الدائرتان الكبيرتان المتداخلتان فإن الأولى منها تحدد منطقة سيادة القـــوة الجوية للاتحاد السوفييتي، وهي التي تضم الجزء الأكبر من قارة أفريقيا وجميع جنوب شرق آسيا والحافة الشمالية من استراليا، بينما تضم الدائرة الثانية مـــنطقة سيادة القوة الجوية الأمريكية التي تشمل أمريكا الشمالية الجنوبية انظر شكل رقم (١).

وأمـــا الـــنطاق الذي يتداخل فيه النفوذ الروسي والأمريكي فقد عبر عنه سفرســـكي فـــي الخـــريطة باسم (منطقة تحديد المصير Area of Decision) لأهمـــية هذه المنطقة الاستراتيجية، فمن يتحكم في هذه المنطقة التي يتداخل فيها النفوذ الجوي للقوتين العالميتين يسيطر على العالم كله.

وتضـــم مـــنطقة الـــتداخل هذه أمريكا الشمالية وأوروبا وأفريقيا شمال الصـــحراء الكـــبرى ومعظـــم آســـيا والجزر اليابانية والجزر البريطانية وبذلك أصبحت تضم الوطن العربي. ومن هنا كان منطوق نظرية سفرسكي على الشكل التالي:

خارطة رقم (١): نظرية القوى الجوية: دي سفرسكي سنة ١٩٤٩م

مـن يملـك السـيادة الجوية يسيطر على منطقة تداخل النفوذ (منطقة تحديد المصير)

ومن يتحكم في منطقة التداخل يسيطر على العالم كله

وبناء على هذه النظرية فقد أوصى سفرسكي الولايات المتحدة بأن تركز علـى تفوقهـا الجوي، كما أوصاها بعدم القيام بحروب محدودة مثل حربها في فيتـنام حـتى لا تسـتنزف قواها، وبأن تصفي قواعدها في الخارج لأنها تكلفها الكثير، وعليها أن تشعر العدو بأن أي عدوان من جانبه سيقابل باستخدام قواتها الجويـة للقضـاء علـيه.. كما يرى أنه من الضروري في هذه الظروف وضع تحصينات دفاعية عن النصف الغربي من العالم تأخذ اتجاها شماليا جنوبيا وليس شرقيا غربياً.

ولكـن مما يلاحظ على نظرية سفرسكي أنه بالغ في أهمية القوة الجوية بشـكل أدى إلى تقليله من أهمية القوتين البرية والبحرية، رغم أن النصر يصبح صعب التحقيق دون تعاون جميع القوى على اختلاف أنواعها وأهميتها وفاعليتها فـي مـيدان القتال. فقد كانت استراتيجية ألمانيا والاتحاد السوفييتي في الحرب العالمـية الثانـية الاعتماد على القوة الجوية البحرية باعتبارهما مكملين للسلاح الرئيسي في الحرب وهو القوات البرية.

كمـا يلاحظ أن سفرسكي قد أعطى أهمية كبيرة لمنطقة القطب الشمالي تفـوق الواقع، حينما اعتبرها أخطر منطقة في العالم، والسيادة عليها تعطي قوة للدولة التي يمكنها السيطرة عليها من أي من الدول الثلاث، الاتحاد السوفييتي أو بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية[1].

---

(١) علي أحمد هارون، مصدر سابق، ص٣٤٢- ٣٤٥.

ملاحظات ختامية:

لقـد بدأ من تفصيلات النظريات الجيوستراتيجية وفروضها هو ارتباطها بالمستوى التكنولوجي الذي يمر به المجتمع البشري عبر الزمان وما يترتب عليه من ترتيبات مكانية نتيجة لإعادة توزيع القوة وعناصرها عالميا. ولهذا فهناك من يرى أن قراءة التاريخ أثبتت أنه بمجرد حدوث تغيير في ميزان القوى أو بمجرد حـدوث ثـورة تقنية في وسائل الإنتاج والنقل والتجارة والحرب، فإن النموذج الاستراتيجي الذي وضعه أي مفكر من هؤلاء سرعان ما يتهاوى خاصة وأن أياً منهم لم يأخذ في اعتباره التغيرات الأيديولوجية التي تصيب العالم[1].

ولهذا أيضا فإن أحد الجغرافيين السياسيين البارزين يقول إنه لحسن الحظ فإن هذه الدراسات الاستراتيجية الشاملة تجتذب الآن اهتماماً قليلاً بين الجغرافيين السياسيين لأسباب ثلاثة[2]:

١- لأنها تتضمن بصورة عامة تبسيطاً مفرطاً للمواقف الحقيقية.

٢- ولأنهـا غير قادرة على أن تأخذ في الحسبان التغيرات الهامة في التقنية التي تتطلب إعادة تقييم العوامل الجغرافية.

٣- وإذا ما كانت لها فعالية فستكون لوقت قصير نسبياً فقط.

---

(١) محمد محمود إبراهيم الديب، مصدر سابق، ص٦٢٧.

(٢) ج. في. بريسكوت، مصدر سابق، ص٢٢.

الباب الثاني
الجانب النظري

الفصل الأول:

نظـرية صـدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون.

١- حياة هنتنغتون وأعماله.
٢- فـروض ونظـرية صـدام الحضـارات ومنطوقها.
٣- آراء حول نظرية صدام الحضارات لـ (هنتنغتون).

الفصل الثاني:

نظرية المركز والأطراف

١- مفاهيم نظرية المركز والأطراف
٢-آراء حول نظرية المركز والأطراف

الباب الثاني

نظريات السيطرة الاستراتيجية الحديثة

تمهيد:

هل لإزالة النظريات الجيوستراتيجية التقليدية مثل نظرية قلب الأرض لماكندر والإطار القاري لسبيكمان وغيرها قادرة على تفسير توزيع القوة عالميا علاوة على أهدافها وأدواتها؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد من العودة إلى ما جاء في الفصل الأول من الكتاب وخاصة ما جاء تحت عنوان التطورات الحديثة في الجغرافيا السياسية إذ تم تحديد أن هناك تطورات تحدث في بنية وهياكل وقضايا النظام العالمي بحيث لم تعد الدولة جوهر الجغرافيا السياسية والفاعل الرئيسي في النظام العالمي إن لم نقل الوحيد بل أضيفت إليها وتفاعلت معها فواعل عالميين جدد كالشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية. كما أن التفاعلات بين هذه الفواعل لم تعد أبنية عسكرية فقط أو هي المسيطرة بل أصبحت التفاعلات الاقتصادية -التكنولوجية والتفاعلات القيمية هي الأكثر أهمية مما جعل الصراعات تتحول من أبنية -عسكرية إلى صراعات تجارية- تكنولوجية وثقافية وأدواتها الرئيسية هي عناصر القوة الليونة Sort Power كالثقافة والمؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وكذلك المعلومات والإعلام والتكتلات التجارية وغيرها مما قاد إلى إعادة توزيع للقوة بني الفواعل العالميين وإعادة تعريف القوة وتزايد المشكلات العابرة للحدود وإعادة تعريف الأمن بالإضافة إلى ذلك كله توسيع رقعة التفاعل عموديا (بين السكان) وأفقيا بين الأماكن وعليه يمكن أن نقول:

١- إن النظريات الجيوستراتيجية التقليدية السابقة تقوم على فعل دولتين عظميين أو واحدة. فـ (ماهان) حلل القوة البحرية على ضوء النموذج البريطاني وكان ينصح بذلك الولايات المتحدة المرشحة لوراثة بريطانيا في سلم القوة البحرية وكذلك ماكندر كان يحدد ويركز على القوة في روسيا (قلب العالم) وأيضا سفرسكي الذي قصر مصير العالم على قوة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، بينما النظريات الجيوستراتيجية الحديثة التي نطرحها هنا تتميز بخط للمواجهة أو الصراع بين كتل من الدول وليس بين دولتين للهيمنة على النطاق العالمي أي أن تدرج القوة في النظريات الحديثة يتم على سلم تضم كل عتبة منه مجموعة من الدول وليس دولة واحدة.

٢- إن النظريات الجيوستراتيجية التقليدية تعتمد على القوة العسكرية وبالدقة على السلاح البري أو البحري أو الجوي كآلية للهيمنة العالمية في حين النظريات الجيوستراتيجية الحديثة تعتمد على فروض اقتصادية أو ثقافية وتعد الأداة العسكرية إحدى الأدوات التي تستخدم عند الضرورة لتطبيق هذه الفروض.

٣- تتلائم النظريات الجيوستراتيجية الحديثة مع التطورات التي تنتاب النظام العالمي في بناه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ضوء أهم آلياتها وهي الاتصالات والمعلوماتية، وتدخل جميع هذه التغيرات والظواهر في مفهوم العولمة الأمر الذي يعني تشتيت القوة واعتمادها على الأدوات اللينة كالإعلام والمعلوماتية وانفصال القوة العسكرية عن القوة الاقتصادية نسبياً وبالتالي تغير نوع الصراع وأدواته وأهدافه.

٤- يرتبط بما سبق أن أغلب النظريات الجيوستراتيجية التقليدية مع تعديلاتها جاءت في فترة القطبية الثنائية في النظام الدولي بينما ما يتم طرحه من نظريات جيوستراتيجية حديثة تتم في فترة التحول إلى التعدد القطبي الاقتصادي والثقافي وربما العسكري لاحقاً.

الفصل الأول

نظرية صدام الحضارات لـ (صموئيل هنتنغتون)

١- حياة هنتنغتون واعماله

يعد صموئيل هنتنغتون من أشهر المفكرين الاستراتيجيين حاليا وهو أستاذ للعلوم السياسية في جامعة هارفرد ويدير معهد جون .أم. أولين للدراسات الاستراتيجية في هذه الجامعة واشتهر أساساً باهتمامه بالتنمية السياسية والتحديث إلا أن دراسته التي نشرها في مجلة Foriegn Affairs في صيف عام ١٩٩٣م بعنوان The clash of civilization نتاج مشروع معهد جون .أم. أولين المعنون:

The changing security Environment and American National Interests البيئة الأمنية المتغيرة والمصالح القومية الأمريكية

وتعد مقولته (صدام الحضارات) واحدة من أكثر الأقطار تداولاً ونقداً ودفعت باهتمامات واسعة بين نخبة من المفكرين في حقول مختلفة وجدوا فيها تفسيراً لموجة التحولات العالمية المتسارعة وكما قال هنتنغتون نفسه عن مقالته في مجلة Foreign Affairs المشار إليه أعلاه نقلاً عن محرري المجلة بأنه قد حرك نقاشاً خلال ثلاث سنوات تفوق ما أثاره أي مقال نشروه منذ ١٩٤٠م إلى اليوم.

وقد طور هنتنغتون مقالته The clash of civilizatoins صدام الحضارات وغطى كثير من موضوعاتها تفصيلاً في كتاب أصدره عام ١٩٩٦م تحت عنوان The clash of civilizations: Remaking of wolrd order وتحت

ترجمته إلى العربية بعنوان (صدام الحضارات: وإعادة بناء النظام العالمي)[1] مع مقدمة للمترجمين بحدود اثنتين وخمسين صفحة فيها عرض ونقد للكتاب.

وقد قال في مقدمة كتابه هذا (أن النية من هذا الكتاب ليست عملاً من العلوم الاجتماعية. إنه بدلاً من ذلك يعني تفسيراً لتطور السياسة العالمية بعد الحرب الباردة. إنه من المأمول أن يقدم إطاراً تفسيرياً، أو نظرية في النظرة إلى السياسة العالمية تكون ذات معنى بالنسبة للباحثين ومفيدة بالنسبة لصانعي السياسة. إن اختبار معناها ومنفعتها لا يمكن فيما إذا كانت تقدم تفسيراً لكل شيء يحدث في السياسة العالمية، فمن الواضح أنها ليست كذلك.

إن الاختبار يكمن فيما إذا كانت هذه النظرية تزودنا برؤية أكثر دلالة وأكثر نفعاً نرى من خلالها التطورات الدولية بشكل أفضل من البدائل النظرية الأخرى: بالإضافة إلى ذلك، فلا توجد نظرية سائدة إلى الأبد بينما يمكن أن يكون المدخل الحضاراتي مساعداً في فهم السياسة العالمية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين فإن هذا لا يعني أنها ستكون مساعدة بنفس القدر في منتصف القرن العشرين أو أنها ستكون مساعدة في منتصف القرن الواحد والعشرين.

على أية حال، ستكون مقالة هنتنغتون عام ١٩٩٣م حول صدام الحضارات ومن بعدها كتابه السابق الذكر هما المصدران الأساسيان لفرض هذه النظرية ثم ما كتبه الآخرون حولها من تحليل ونقد.

---

١) صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية الليبية، ١٩٩٩م.

٣- فروض نظرية صدام الحضارات ومنطوقها

يقول هنتنغتون أنه لأول مرة في التاريخ فإن السياسة العالمية هي في آن واحد متعدد الأقطاب ومتعدد الحضارات، إن التنمية السياسية أو التحديق Modernization هي مفهوم مختلف عن الحداثة على النمط الغربي Westernization أو الغربنة؛ وهو أي التحديث يكون من نتيجته لا حضارة عامة بأي معنى ذي مضمون ولا يكون من نتيجة غربنة المجتمعات غير الغربية.

وأن توازن القوى بين الحضارات آخذ في التغير: فالغرب يتقهقر في نفوذه النسبي؛ والحضارات الآسيوية تقوم بتوسيع قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والإسلام يتفجر سكانيا مصحوباً بنتائج عدم الاستقرار للدول الإسلامية وجاراتها، والحضارات غير الغربية بشكل عام هي الآن تؤكد مرة أخرى على قيمة ثقافاتها.

ويذكر هنتنغتون بأن نظاماً عالمياً أساسه التنوع الحضاري آخذ في الانبثاق هناك مجتمعات تتقاسم روابط ثقافية تتعاون مع بعضها البعض، كما أن دعاوي العالمية أو الإنسانية التي يطرحها الغرب تضعه بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الأخرى، وبشكل أكثر خطورة مع الإسلام والصين، وعلى المستوى المحلي فإن حروب خط الصدع Faut Line Wars والتي تقع بشكل رئيسي بين المسلمين وغير المسلمين تولّد الحشود التي تؤيدها دولة تشاطرها حضاراتها، والتهديد بتوسيع حدود الصراع، وبالتالي تبذل الدول الكبرى جهوداً من أجل إنهاء هذه الحروب.

كما ذكر بأن استمرار حياة الغرب يعتمد على الأمركيين وهم يعيدون تأكيد هويتهم الغربية، وعلى سكان العالم الغربي وقد قبلوا حضارتهم على أنها متميزة وليست عالمية أوكونية، وقد اتحدوا لغرض تجديدها وحمايتها ضد

التحديات من المجتمع غير الغربي، إن تجنب حرب عالمية بين الحضارات يعتمد على قادة العالم لقبولهم وتعاونهم للحفاظ على الطابع المتعدد الحضارات للسياسة العالمية[1].

ثم طرح منطوق نظريته القائل بأن المصدر الأساسي للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدراً أيديولوجيا أو اقتصادياً في المحل الأول. فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر سيكون مصدراً ثقافياً، وستظل الدول والأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، ولكن الصراعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات العالمية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل[2].

وسيكون الصراع بين الحضارات هو الرحلة الأخيرة في تطور الصراع في العالم الحديث، فلمدة قرن ونصف القرن بعد قيام النظام الدولي الحديث مع معاهدة وستفاليا كانت الصراعات في العالم الغربي تحدث أساساً بين الأمراء والأباطرة، والملوك المطلقين والملوك الدستوريين الذين يحاولون توسيع إداراتهم وجيوشهم وقوتهم الاقتصادية المركنتلية وأخيراً وهو العنصر الأهم الأخير الأراضي التي يحكمونها.

وخلال هذه العملية أقاموا الدول والأمم Nation states وبدءاً من الثورة الفرنسية، أصبحت الخطوط الأساسية للصراع بين الأمم وليس بين الأمراء... واستمر نمط القرن التاسع عشر هذا حتى نهاية الحرب العالمية الأول. ثم تحول الصراع بين الأمم نتيجة للثورة الفرنسية وردود الفعل تجاهها، إلى صراع بين

---

(١) صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مصدر سابق، ص٧١- ٧٢.

(٢) صموئيل هنتنغتون: الصراع بين الحضارات، شؤون الأوسط، العدد ٢٦، ١٩٩٤م، ص٧٩.

الأيديولوجيات أولاً بين الشيوعية والفاشية/ النازية، والديمقراطية الليبرالية، ثم بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية، وخلال الحرب الباردة أصبح هذا الصراع الأخير مجسداً في الصراع بين الدولتين العظيمتين.. وحدد كل منهما هويته من حيث أيديولوجيته.

خلال الحرب الباردة كان العالم منقسماً إلى العالم الأول والثاني والثالث ولم تعد هذه الانقسامات ذات معنى والأجدى حاليا ليس تصنيف البلدان في مجموعات من حيث نظمها السياسية أو الاقتصادية أو من حيث مستوى تطورها الاقتصادي، وإنما من حيث ثقافتها وحضارتها.

فما الذي نعنيه عندما نتحدث عن حضارة ما؟

إن الحضارة كيان ثقافي.. وهي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى. وهي تتحدد في آن معاً بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات، وبالتحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب لنفسه. إن للناس مستويات من الهوية، فمن يقطن روما قد حدد نفسه بدرجات متباينة من الحدة بأنه من أهل روما أو إيطاليا أو كاثوليكي أو مسيحي أو أوروبي أو غربي. والحضارة التي ينتمي إليها هي أوسع مستوى للتحديد يعرف نفسه به بصورة مكثفة. وقد تتضمن الحضارات عدداً كبيراً من الناس كما هو الحال بالنسبة للصين أو عدداً صغيراً منهم مثل أهل الكاريبي المتحدثين بالإنجليزية وقد تتضمن الحضارة أكثر من دولة –أمة Nation- states مثلما هو الحال مع الحضارات الأمريكية اللاتينية والغربية، والعربية، أو دولة –أمة مثلما هو الحال مع الحضارة اليابانية.

ومن الواضح أن الحضارات تمتزج وتتداخل، وقد تتضمن حضارات فرعية. فللحضارة الغربية صورتان متغايرتان أساسيتان: الأوروبية والأمريكية

الشمالية، وللإسلام أقسامه الفرعية العربية والتركية والماليزية. ومع ذلك فالحضارات كيانات هادفة وعلى الرغم من الخطوط التي تفصل بينها نادراً ما تكون حادة فهي تبقى خطوطاً حقيقية، والحضارات دينامية، وهي تزدهر وتنهار وتنقسم وتندمج، ومثلما يعرف أي دارس للتاريخ، فالحضارات تختفي وتدفن في رمال الزمن.

لماذا ستتصادم الحضارات؟

يقول هنتنغتون بأن الهوية الحضارية تكتسب أهمية متزايدة في المستقبل. وسيكون الشكل العام وتبعاً إلى حد كبير بين سبع أو ثماني حضارات كبيرة، تشمل الحضارات: الغربية والكونفوشيوسية. واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية والأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية وربما الإفريقية، خارطة رقم (١) ثم أعطى نبذة مختصرة لكل حضارة[١].

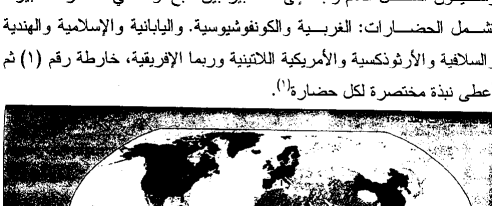

خارطة رقم (١) الحضارات العالمية حسب وصف هنتنغتون

ينظر: صموئيل هنتنغتون صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي

---

(١) صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مصدر سابق، ص١٠٩- ١١٤.

١- **الحضارة الغربية:** تؤرخ عادة على أنها برزت منذ ٧٠٠ سنة قبل الميلاد المسيح أو ٨٠٠ سنة وغالبا ما ينظر إليها العلماء على أنها مكونة من ثلاث عناصر رئيسية، في أوروبا، وأمريكا الشمالية، وأمريكا اللاتينية.

٢- **الأمريكية اللاتينية:** أمريكا اللاتينية، على الرغم من ذلك، لها هوية متميزة تميزها عن الغرب، فبالرغم من أنها وليدة الحضاة الأوروبية، فإن أمريكا اللاتينية قد تطورت وسلكت طريقاً مختلفاً جداً عن أوربا وأمريكا الشمالية. وصار لها ثقافة كوربوراتية وتسلطية، والذي لا يوجد منها في أوروبا سوى القليل النادر ولا يوجد منها في أمريكا الشمالية شيء من ذلك على الإطلاق. إن التطور السياسية والنمو الاقتصادي لأمريكا اللاتينية قد اختلفت بشكل حاد عن النماذج التي سارت في دول شمال الأطلسي.. وهناك أدبيات واسعة لأمريكيين لاتينيين وشماليين تبين اختلافاتهم الثقافية.

٣- **الحضارة الصينية (الكونفوشيوسية)** كل الباحثين يعترفون بوجود حضارة صينية واحدة متميزة يعود تاريخها إلى ١٥٠٠ قبل ميلاد المسيح على الأقل أو ربما إلى ألف عام قبل ذلك، أو حضارتين صينيتين إحداهما تتبع الأخرى في القرون الأولى للمرحلة أو العصر المسيحي وفي مقالته في مجلة Foriegn Affairs أطلق عليها الحضارة الكونفوشيوسية، وأنه أكثر صحة ومع ذلك يمكن أن تستعمل التعبير (الصينية SINIC) وبينما تعتبر الكونفوشيوسية مركباً رئيسياً في الحضارة الصينية، فإن الحضارة الصينية هي أكثر من الكونفوشيوسية وهي أيضاً تتخطى حدود الصين ككيان سياسي. إن اصطلاح (صيني SINIC) الذي بدأ يستعمل من قبل باحثين عديدين، يصف تقريباً الثقافة

المشتركة في الصين وثقافة الجماعات الصينية في جنوب شرق آسيا ومناطق أخرى خارج الصين وكذلك الثقافات القريبة منها في فيتنام وكوريا.

٤- **اليابانية:** بعض العلماء يجمع بين الثقافة اليابانية والصينية تحت عنوان حضارة واحدة حضارة الشرق الأقصى. البعض، مع ذلك لا يتبعون ذلك وبدلاً من ذلك يعترفون باليابان كحضارة واحدة متميزة والتي كانت وليدة الحضارة الصينية، وقد ظهرت خلال الفترة ما بين ١٠٠-٤٠٠ ق.م.

٥- **الهندوكية والهندية:** واحدة أو أكثر من الحضارات المتعاقبة، من المعترف به قد وجدت في شبه القارة الهندية منذ ١٥٠٠ق.م على الأقل. وهذه غالباً ما يتم الإشارة إليها على أنها هندية أو هندوكية أو هندوسية مع استخدام الاصطلاح (HINDU) على أنه المفضل للإشارة إلى هذه الحضارة في أحدث عصورها وفي شكل معين أو آخر، فإن الهندوسية اعتبرت أساسية في ثقافة شبه القارة منذ ألف الثانية بعد ميلاد المسيح أكثر منها كديانة أو كنظام اجتماعي، أنها صلب الحضارة الهندية، وقد استمرت في هذا الدور خلال العصر الحديث، حتى بالرغم من أن الهند بها جماعة إسلامية ذات أهمية بالإضافة إلى مجموعة أصغر من الأقليات، وقبل التعبير (SINIC صيني) فإن الاصطلاح (HINDU هندي) فهو أيضا يفصل اسم الحضارة عن اسم الدولة الكبرى أو الدولة الأم، والذي يكون الاصطلاح، مرغوباً فيه، كما في هذه الحالات، عندما تمتد ثقافة الحضارة إلى ما وراء الدولة الأم.

٦- **الإسلامية:** كل العلماء الكبار يعترفون بوجود حضارة إسلامية متميزة ولدى بروزها في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، انتشر

الإسلام بسرعة عبر شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الإيبرية وكذلك شرقاً إلى وسط آسيا، وشبه القارة الهندية وجنوب شرقي آسيا، وكنتيجة لذلك توجد ثقافات عديدة متميزة أو فروع حضارية داخل الإسلام بما في ذلك العرب والأتراك والفرس والملايين.

٧- **الأرثوذكسية:** عدد من العلماء يفرقون بين حضارة أرثوذكسية منفصلة تمركزت في روسيا وحضارة العالم المسيحي الغربي كنتاج للنسب البيزنطي، كديـن منفرد مائتي سنة من الحكم التتاري والاستبدادية الشرقية البيروقراطية، مع احتكاك محدود بعصر النهضة، والإصلاح، وعصر التنوير، وغيرها من التجارب الغربية الرئيسية الأخرى.

٨- **الإفريقية:** معظم علماء الحضارات لا يعترفون بحضارة إفريقية متميزة. شمال القارة الإفريقية وشرقها الساحلي ينتمي إلى الحضارة الإسلامية، تاريخيا كونت أثيوبيا حضارتها الخاصة بها، وفي المناطق الأخرى كان الاستعمار الأوروبي والمستوطنون الأوروبيون قد جلبوا عناصر من الحضارة الغربية.. والأكثر أهمية جلبت الإمبريالية الأوروبية المسيحية إلى أغلب القارة جنوب الصحراء، وفي جميع مناطق أفريقيا تنتشر الهويات القبلية وتشتد حدة، غير أن الإفريقيين هم أيضا يطورون بشكل متزايد نوعاً من الهوية الإفريقية، ومن الواضح أن أفريقيا المتاخمة للصحراء استطاعت أن تلتحم مع حضارة متميزة ربما تكون جنوب أفريقيا هي دولتها المتميزة ولكن لماذا تتصارع الحضارات؟ يجيب هنتنغتون على هذا السؤال الذي طرحه هو بما يلي[1]:

---

(١) صموئيل هنتنغتون: الصدام بين الحضارات، شؤون الأوسط، مصدر سابق، ص٨٢- ٨٤.

خارطة رقم (٢)

ينظر: صموئيل هنتنغتون صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي

المسيحية الغربية في أوائل القرن السادس عشر

أولا: أن الفروقات بين الحضارات ليست فروقاً حقيقية فحسب بل هي فروق أساسية، فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والأهم الدين. وللناس في الحضارات المختلفة آراء مختلفة عن العلاقات بين الله والإنسان، والفرد والمجموعة، والمواطن والدولة، الآباء والأبناء، والزوج والزوجة وآراء مختلفة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات والحرية والسلطة والمساواة والتسلسل الهرمي. وهذه الفروق نتاج قرون، ولن تختفي سريعاً، إنها فروقات أساسية بدرجة أكبر من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية، والاختلافات لا تعني الصراع بالضرورة، والصراع لا يعني العنف بالضرورة بيد أنه على مر القرون، ولدت الاختلافات بين الحضارات أطول الصراعات وأكثرها عنفاً.

ثانياً: إن العالم أصبح مكاناً أصغر، وأخذت التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة في التزايد، وتزيد هذه التفاعلات المتنامية وعي الحضارات بنفسها وإدراكها للفروق بين الحضارات والأشياء المشتركة داخل الحضارات، فقد ولدت الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا عداوات فيما بين الفرنسيين، وزادت في الوقت نفسه من احترام المهاجرين البولنديين الكاثوليك الأوربيين (الطيبين) وكان رد فعل الأمريكيين تجاه الاستثمار الياباني أكثر سلبية منه تجاه الاستثمار من كندا أو البلدان الأوروبية.. إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تعزز الوعي بالحضارة لدى الناس، الأمر الذي عزز بدوره الاختلافات والعداوات التي تضرب أو يعتقد أنها تضرب جذورها في أعماق التاريخ.

ثالثا: إن عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي في كل أنحاء العالم تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة والراسخة، كما تضعف الدولة – الأمة كمصدر للهوية، وفي كثير من أنحاء العالم، ترك الدين يملأ هذه الفجوة وغالباً في شكل حركات توصف بأنها (أصولية) وتوجد مثل هذه الحركات في

المسيحية الغربية، وفي اليهودية، وفي البوذية وفي الهندوسية وكذلك في الإسلام وفي معظم البلدان وفي معظم الأديان، فإن النشطاء في الحركات الأصولية هم من الشباب، ذوي التعليم الجامعي، والفنيين من الطبقة الوسطى والمهنيين من رجال الأعمال... إن إحياء الدين... يوفر أساساً للهوية والالتزام يتجاوز الحدود الوطنية ويوحّد الحضارات.

رابعاً: يتعزز نمو الوعي بالحضارة نتيجة للدور المزدوج للغرب: فالغرب من ناحية في أوج قوته، بيد أنه في الوقت نفسه، وربما نتيجة لذلك، ثمة ظاهرة تتمثل في العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية، فيسمع الرد على نحو متزايد إشارات الاتجاهات نحو الانكفاء إلى الداخل و(إضفاء طابع آسيوي) في اليابان، ونهاية ميراث نهرو و(اختفاء طابع هندوسي) في الهند، وفشل الأفكار الغربية من اشتراكية وقومية ومن ثم (إعادة الأسلحة) في الشرق الأوسط، ويدور حاليا جدل حول التغريب مقابل الترويس في روسيا الاتحادية، إن غرباً في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية في تشكيل العالم بطرائق غير غربية، ولديها الإدارة والإمكانات للقيام بذلك.

خامساً: إن الخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للتبديل ومن ثم أقل قابلية للحلول الوسط والتسويات من نظيرتها السياسية والاقتصادية، ففي الاتحاد السوفييتي السابق يمكن للشيوعيين أن يصبحوا ديمقراطيين ويمكن أن يصبح الأغنياء فقراء والفقراء أغنياء ولكن الروس لا يمكن أن يكونوا استوفيين ولا يمكن الأذريون أن يصبحوا أرمن. وفي الصراعات الطبقية والأيديولوجية كان السؤال الأساسي هو: إلى أي جانب تقف؟ وكان في مقدور الناس أن يختاروا الجانب الذي يقفون إلى جانبه وأن يغيروه وقد فعلوا ذلك، إنما في الصراعات بين الحضارات فإن السؤال هو (من أنت؟) وتلك مسلمة لا يمكن تغييرها. ومثلما نعرف فإنه من البوسنة إلى القوقاز إلى السودان، قد تعني الإجابة الخاطئة عن

ذلك السؤال رصاصة في الرأس. والدين يفصل بين الناس بصورة أكثر حدة وحصراً حتى من العرق. فالمرد قد يكون نصف فرنسي، نصف عربي، بل حتى مواطنا في دولتين في الوقت نفسه، ولكن الأصعب أن يكون نصف كاثوليكي، ونصف مسلم.

أخيراً، فإن النزعة الاقتصادية الإقليمية آخذة في الزيادة، فقد ارتفعت نسبة التجارة الإقليمية الإجمالية بين عامي ١٩٨٠- ١٩٨٩م من ٥١% إلى ٥٩ % في أوروبا ومن ٣٣% إلى ٣٧% في شرق آسيا ومن ٣٢% إلى ٣٦% في أمريكا الشمالية. ومن المرجح أن يستمر تعزيز أهمية الكتل الاقتصادية الإقليمية في المستقبل، فالنزعة الاقتصادية الناجحة ستدعم من ناحية الوعي بالحضارة (الوعي الحضاري Civilization- Consciosness) إلا أنه من ناحية أخرى فإن النزعة الإقليمية الاقتصادية قد تنجح فقط عندما تضرب بجذورها في حضارة مشتركة فالجماعة الأوروبية تقوم على الأساس المشترك للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية... وإذا كانت الوحدة الثقافية شرطاً مسبقاً للتكامل الاقتصادي فمن المرجح أن تتركز في المستقبل الكتلة الاقتصادية الأساسية في شرق آسيا على الصين وليس على اليابان كما يذكر هنتنغتون.

ثم بعد ذلك يتحول هنتنغتون لتحديد مواقع الصراع الرئيسية وقضاياه فيقول إن زوال الدول المحددة على أساس أيديولوجي في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق يتيح الفرصة للكيانات والعداوات الأثنية التقليدية أن تتقدم إلى الصدارة، وتخلق الخلافات في الثقافة والدين خلافات حول قضايا أساسية تتراوح من حقوق الإنسان إلى الهجرة إلى التجارة والتبادل إلى البيئة... وإذ تتناقص قدرة الحكومات والمجموعات على حشد الدعم وإقامة التحالفات على أساس الأيديولوجية فإنها ستحاول بصورة متزايدة حشد الدعم باستغلال دين مشترك وهوية حضارية مشتركة.

وهكذا فإن صدام الحضارات يحدث على مستويين:

فعلى المستوى الجزئي Micro- Level تتصارع المجموعات المتجاورة على امتداد خطوط التقسيم (الصدع) Faultling بين الحضارات بصورة عينية – عادة– على السيطرة على أراضي بعضها البعض.

وعلى المستوى الكلي Mecrol- Level تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية والاقتصادية النسبية، وتتصارع على السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة، وتتنافس على ترويج قيمها الدينية والسياسية الخاصة[1].

ثم حاول هنتنغتون أن يكون أكثر تحديداً عبر رسم خطوط الصدع الأكثر صراعية أو التي سيتم عبرها الصراع الأكبر، فرسم خطين إحداهما عمودي والآخر أفقي باعتبارهما نقاط تفجر الأزمات والمذابح، فالخط العمودي الذي رسمه هنتنغتون يقسم أوروبا ثقافيا بين المسيحية الغربية من ناحية، والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام من جانب آخر. وقد يكون أهم خط تقسيم في أوروبا مثلما أشار وليام دلاس هو الحدود بين فنلندا وروسيا وبين دول البلطيق وروسيا، ويمتد عبر روسيا البيضاء وأوكرانيا فاصلاً غرب أوكرانيا الأكثر كاثوليكية عن شرقها، متأرجحاً للغرب ترانسلفانيا عن باقي رومانيا، ثم يمتد عبر يوغسلافيا على امتداد الخط الذي يفصل حاليا كرواتيا وسلوفينيا عن باقي يوغسلافيا، وبالطبع، فإن هذا الخط يتوافق في البلقان مع الحد التاريخي بين الإمبراطوريتين الهابسبورغية والعثمانية، والشعوب القاطنة إلى الشمال والغرب من هذا الخط بروتستانت وكاثوليك، تتقاسم تجارب مشتركة للتاريخ الأوروبي: الإقطاع، النهضة، الإصلاح، التنوير، الثورة الفرنسية، الثورة الصناعية، وهم بصفة عامة

---

(١) صموئيل هنتنغتون (الصدام بين الحضارات) شؤون الأوسط، مصدر سابق، ص٨٥.

أفضل من الناحية الاقتصادية من الشعوب الواقعة إلى الشرق، وقد يتطلعون حاليا إلى الزيادة المشاركة في اقتصاد أوروبي مشترك وفي دعم النظم السياسية الديمقراطية، والشعوب التي تقطن إلى شرق هذا الخط وجنوبه، أرثوذكس ومسلمون، وهم ينتمون تاريخياً إلى الإمبراطورية العثمانية أو الإمبراطورية القيصرية. وقد مستهم مساً رقيقاً فحسب الأحداث التي حددت مسار باقي أوروبا، هم بصفة عامة أقل تقدماً من الناحية الاقتصادية، والاحتمال قليل في أن يطوروا نظماً سياسية ديمقراطية مستقرة. وقد حل المسبار المخملي للثقافة محل الستار الحديد للأيديولوجيا باعتباره أهم خط للتقسيم في أوروبا، وكما توضح الأحداث في يوغسلافيا، ليس خط اختلاف فحسب بل أحيانا خط نزاع دموي أيضا. خارطة رقم (٢).

كما حاول هنتنغتون رسم خط آخر أفقي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً ويضم الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية – الإسلامية ما يلي:

يتباين حجم العقبات التي تقف في وجه انضمام البلدان غير الغربية إلى الغرب بصورة كبيرة، فهي أقل عدداً بالنسبة إلى بلدان أمريكا اللاتينية وشرق أوروبا، وأكبر بالنسبة إلى البلدان الأرثوذوكسية للاتحاد السوفييتي السابق، وأكبر من ذلك بالنسبة إلى المجتمعات الإسلامية والكونفوشيوسية والهندوسية والبوذية... وتتنافس تلك البلدان – التي لا تريد بسبب الثقافة والقوة أن تنضم إلى الغرب أو لا تستطيع ذلك– مع الغرب عبر تطوير قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية الخاصة، وهي تفعل ذلك بالنهوض بتنميتها الداخلية والتعاون مع البلدان غير الغربية الأخرى، وأبرز شكل لهذا التعاون هو الصلة الكونفوشيوسية –الإسلامية التي ظهرت لتتحدى المصالح والقيم والقوة الغربية.

وبتركز النزاع بين الغرب والدول الكونفوشيوسية -الإسلامية إلى حد كبير، وإن لم يكن على وجه الحصر، على الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية والصواريخ البالستية وغيرها من وسائل إطلاقها وتوجهها وقدرات الاستخبارات والقدرات الإلكترونية وغيرها لتحقيق ذلك الهدف.. وبصفة عامة، فإن تدفق الأسلحة وتكنولوجيا الأسلحة يتم من شرق آسيا إلى الشرق الأوسط، بيد أن هناك بعض التحرك في الاتجاه المعاكس، فقد حصلت الصين على قذائف ستنغر من باكستان.

وهكذا قامت رابطة عسكرية كونفوشيوسية -إسلامية تهدف إلى دعم حصول أعضائها على الأسلحة وتكنولوجيا الأسلحة المطلوبة لمواجهة القوة العسكرية للغرب... وبالتالي فإن البؤرة المركزية للصراع في المستقبل المباشر ستكون بين الغرب ودول إسلامية وكونفوشيوسية عدة.

ولغرض تنبيه الغرب إلى تدهور أهميته النسبية مقارنة بالحضارات الأخرى فقد قدم هنتنغتون ضمن الفصل الرابع من كتابه (صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي) عرضا لبعض مقومات القوة الأساسية للحضارات التي حددها.

ففي مجال المساحة والسكان يقول هنتنغتون أنه خلال نقطة التأوج في التوسع الإقليمي في عام ١٩٢٠م، حكم الغرب مباشرة حوالي ٢٥,٥ مليون ميل مربع أي ما يقارب نصف مساحة الأرض، مع عام ١٩٩٣م هذه السيطرة الإقليمية تقلصت إلى النصف لتصل إلى ١٢,٧ مليون ميل مربع تقريباً عاد الغرب إلى حجم أوروبا الأصلي علاوة على الأراضي الواسعة الآهلة بالمستوطنين في شمال أمريكا واستراليا ونيوزيلندة وعلى عكس ذلك، فإقليم المجتمعات الإسلامية المستقلة ارتفع من ١,٨ مليون ميل مربع في ١٩٢٠م إلى ما يفوق ١١ مليون ميل مربع سنة ١٩٩٣م.

جدول رقم (١)

الأقاليم في العالم بالنسبة المئوية حسب الحضارات

السنة	الإفريقيون	الهنود	اليابانيون	الأرثوذكس	الآخرون
١٩٩٠	٠,٣	٠,١	٠,٣	١٦,٦	١٩,٩
١٩٢٠	٠,٨	٠,١	٠,٥	١٩,٥	١٩,٩
١٩٧١	٨,٨	٢,٥	٠,٣	١٩,٧	١٩,٩
١٩٩٣	١٠,٨	٢,٥	٠,٣	١٣,٧	٢٠,٥

تغيرات مشابهة حدثت في السيطرة على التفوق في عدد السكان، ففي عام ١٩٠٠م شكّل الغرب ما يقرب كثيراً من ٣٠% من سكان العالم وسيطرت الحكومات الأوروبية على ما يصل إلى ٤٥% من سكان العالم ثم ٤٨% سنة ١٩٢٠م وفي عام ١٩٩٣م باستثناء عدد قليل من بقايا الاستعمار، لم تهيمن الحكومات الغربية على ولا واحد بالمائة باستثناء الغربيين، ووصل الغربيون إلى ما يزيد قليلاً عن ١٣% من البشرية ومتوقع أن يصلوا إلى ١١% مع مطلع القرن الواحد والعشرين وإلى ١٠% مع سنة ٢٠٢٥م، وبالنظر إلى إجمالي سكان العالم جاء الغرب في المرتبة الرابعة بعد الحضارات الصينية والإسلامية والهندية.

جدول رقم (٢)

حصة الحضارات من عدد سكان العالم تحت سيطرتها

١٩٠٠ - ٢٠٢٥ (بالنسب)

السنة	إجمالي العالم	الإفريقيون	الهنود	اليابانيون	الأرثوذكس
١٩٠٠	١,٦	٠,٤	٠,٣	٣,٥	٨,٥
١٩٢٥	١,٩	٠,٧	٠,٣	٤,١	١٣,٩
١٩٥٠	٣,٧	٥,٦	١٥,٢	٢,٨	١٠,٠
١٩٧٥	٥,٣	٨,٢	١٦,٣	٢,٣	٦,٥
١٩٩٥	٥,٨	٩,٥	١٦,٤	٢,٢	٦,١
٢٠٠٠	٧,٢	١١,٧	١٧,١	١,٨	٥,٤
٢٠٢٥	٨,٥	١٤,٤	١٦,٩	١,٥	٤,٩

كمـــا يشـــير هنتنغتون إلى الناحية الكيفية للسكان فيذكر أنه من الناحية الكمية يشكل الغربيون أقلية تتناقص بثبات من سكان العالم، ومن الناحية الكيفية، فالـــتوازن بين الغرب والسكان الآخرين هو الآخر آخذ في التغير، الشعوب غير الغربـــية تصير أكثر صحة، وأكثر تحولاً نحو حياة المدن، أكثر تعليماً وأفضل تعليماً.. فالمجتمعات المعبأة اجتماعيا هي مجتمعات أكثر قوة.

أمـــا فـــي مجال الإنتاج الاقتصادي يذكر هنتنغتون أن حصة الغرب من المنـــتوج الاقتصـــادي العالمي هو الآخر ربما يكون وصل أوجه في العشرينات

وأخـــذ في الهبوط بشكل واضح منذ الحرب العالمية الثانية.... ففي عام ١٩٥٠م وصل إنتاج الغرب إلى ما يقرب ٦٤% من الإنتاج العالمي الكلي.. مع الثمانينات هبط هذا النصيب إلى ٤٩% ومع ٢٠١٣ حسب بعض التقديرات، الغرب سينتج فقط ٣٠% من الإنتاج العالمي.

جدول رقم (٣)

حصص الحضارات من الإنتاج الاقتصادي الإجمالي العالمي ١٩٥٠-١٩٩٢ (نسب مئوية)

السنة	الغربية	الإفريقية	الصينية	الهندية	الإسلامية	اليابانية	أمريكا اللاتينية	الأرثوذكس	آخرون
١٩٥٠	٦٤,١	٠,٢	[illegible]	٣,٨	[illegible]	٣,١	[illegible]	١٦,٠	١,٠
١٩٧٠	[illegible]	١,٧	[illegible]	٣,٠	[illegible]	٧,٨	[illegible]	١٧,٤	[illegible]
١٩٨٠	[illegible]	٢,٠	[illegible]	٢,٧	[illegible]	٨,٥	[illegible]	١٦,٤	[illegible]
١٩٩٢	[illegible]	٢,١	[illegible]	٣,٥	[illegible]	٨,٠	[illegible]	٦,٢	[illegible]

فـــي عام ١٩٩١م حسب تقديرات أخرى، أربع من الاقتصاديات العالمية الكبرى السبعة تتكون من أمم غير أوروبية (اليابان في المركز الثاني) والصيني (في المركز الثالث) وروسيا (السادس) والهند (السابع)... وفي عام ٢٠٢٥ بعض الـــتوقعات تشير إلى... العشرة الأوائل في الاقتصاديات العالمية ستحتوي على ثـــلاث دول غربية.. وأن الهبوط النسبي للغرب يرجع بالطبع في الجزء الكبير منه إلى النهوض السريع لشرق آسيا.

أمـا فـي مجـال القـدرة العسكرية فيحدد هنتنغتون أربعة أبعاد للقوة العسكرية: كمية – عدد الأفراد، الأسلحة، والعتاد، والموارد، وتكنولوجية- فعالية وتعقـيد الأسـلحة والمعدات؛ وتنظيمية -تماسك، وتنظيم، وتدريب، ومعنويات الجـنود، وفعالية القيادة وعلاقات السيطرة؛ واجتماعية – المقدرة والرغبة لدى المجـتمع فـي استخدام القوة العسكرية بشكل فعال. في العشرينات كان الغرب متقدماً كثيراً جداً عن كل الآخرين في جميع هذه الأبعاد وفي السنوات التالية منذ ذلك الوقت انهارت القوة العسكرية للغرب بالقياس إلى تلك الحضارات الأخرى، وهو تغير يعكس تغيراً في الميزان في القوة البشرية التي في الخدمة العسكرية، وهو مقياس، بالرغم من أنه بوضوح ليس الأكثر أهمية للقدرة العسكرية.

جدول رقم (٤)

حصص الحضارات من القوة العسكرية البشرية العالية الإجمالية (بالنسب المئوية)

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	١٠٠,٠٨٦	[illegible]	١,٦	[illegible]	٠,٤	[illegible]	١,٨	[illegible]	١٦,٦
[illegible]	٨,٦٤٥	[illegible]	٣,٨	[illegible]	٠,٤	[illegible]	٢,٩	[illegible]	١٢,٨
[illegible]	٢٣,٩٩١	[illegible]	٢,١	[illegible]	٦,٦	[illegible]	٠,٣	[illegible]	٢٥,١
[illegible]	٢٥,٧٧٧	[illegible]	٣,٤	[illegible]	٤,٨	[illegible]	١,١	[illegible]	١٤,٣

أخـيراً ينتهـي هنتنغتون إلى خلاصة توضح العلاقات النسبية للقوة بين الحضـارة الغربية والحضارات الأخرى. فعلى وجه العموم سيبقى الغرب -كما يقـول هنتنغـتون- الحضارة الأكثر قوة محتفظاً بحالة جيدة وهو يدخل العقود

المبكرة من القرن الواحد والعشرين، فيما بعد ذلك سيكون بإمكانه أن يستمر في أن يكـون له زيـادة هامة في البحث العلمي وتنمية المهارات، وتطوير القدرات والتجديد في التقنية المدنية والعسكرية.

الهيمنة على مصادر القوة الأخرى قد آلت بشكل متزايد إلى أن تصبح مشتتة بين الدول الأساسية core states والدول الرائدة للحضارات غير الغربية، هيمـنة الغـرب علـى هذه الموارد وصلت ذروتها في العشرينات وأخذت في الاضـمحلال منذ ذلك الوقت بشكل غير منتظم ولكنها في العشرينات من القرن الواحـد والعشرين، مائة سنة بعد ذلك التأوج، فالغرب ربما سيهيمن على ٢٤% تقريـباً مـن إقلـيم العـالم (هابطـاً من ٤٩%) و١٠% من سكان العالم الكلي (بـدلاً من ٢٨%) وربما ١٥-٢٠% من الطاقة المعبأة اجتماعياً، وتقريباً ٣٠% من الإنتاج الاقتصادي العالمي (هابطاً من ٧٠% تقريباً) وربما ٢٥% من الإنتاج الصناعي (هابطاً من ٨٤%) وأقل من ١٠% من القوة العسكرية البشرية العالمية (هابطاً من ٤٥%)[1].

بعد أن قام هنتنغتون باستعراض وتحليل مقارن للأوضاع العالمية الحالية والمستقبلية وتوزيع القوة بين الحضارات وموقع الحضارة الغربية فيها والمحتلة كمـا حدد في الديانات اليهودية والمسيحية (البروتستانتية والكاثوليكية) والتحديات التي تواجهها من قبل الحضارة الإسلامية ومن ثم الكونفوشيوسية، بدأ هنتنغتون بتقديم توصياته للغرب على المديين القصير والطويل للحفاظ على هيمنة (الغرب) وحماية مصالحه فقال[2]:

إن مـا يـتفق فـي الأجل القصير مع صالح الغرب أن يتدعم التعاون والوحـدة المـتزايدتان داخـل حضـارته خصوصاً بين العنصرين الأوروبي

---

(١) صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مصدر سابق، ص١٨٢-١٨٣.

(٢) صموئيل هنتنغتون: الصدام بين الحضارات، شؤون الأوسط، ص١٠٢.

والأمريكي الشمالي، وأن تدمج في الغرب مجتمعات في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ثقافاتها قريبة لثقافات الغرب، وأن يتم الحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان وبالتالي تعزيزها ومنع تصاعد الصراعات المحلية داخل الحضارات إلى حروب كبيرة والحد من توسيع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشيوسية والاعتدال في تخفيض القدرات العسكرية الغربية والحفاظ على التفوق العسكري في شرق آسيا وجنوبها الغربي، واستغلال الخلافات والصراعات بين الدول الكونفوشيوسية والإسلامية، ودعم المجموعات الحضارية الأخرى المتعاطفة مع القيم والمصالح الغربية، وتقوية المؤسسات الدولية التي تعكس المصالح والقيم المشروعة للغرب وتدعم مشاركة الدول غير الغربية في تلك المؤسسات.

وفي المدى الطويل، سيتطلب الأمر اتخاذ تدابير أخرى: فالحضارة الغربية غربية وحديثة في آن معاً، وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تصبح حديثة من دون أن تكون غربية، ولكن اليابان فقط هي التي نجحت في هذا المسعى، وستواصل الحضارات غير الغربية محاولة الحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والآلات والأسلحة التي تشكل جزءاً من الحداثة.

كما ستحاول التوفيق بين هذه الحداثة وثقافتها وقيمتها التقليدية، وستزيد قوتها الاقتصادية والعسكرية بالنسبة إلى الغرب، ومن ثم سيتعين على الغرب أن يتراضى بصورة متزايدة مع هذه الحضارات الحديثة غير الغربية التي تقرب قوتها من قوته، وإن كانت قيمتها ومصالحها تختلف بصورة كبيرة عن قيمه ومصالحه، ويقتضي هذا أن يحتفظ الغرب بالقوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحه بالنسبة إلى هذه الحضارات، بيد أن ذلك يقضي أيضا أن يطور الغرب فهماً أعمق للفروض الدينية والفلسفية الأساسية الكامنة وراء الحضارات الأخرى والطرق التي ترى بها شعوب هذه الحضارات مصالحها،

وسيقتضـــي ذلك جهداً لتحديد العناصر المشتركة بين الحضارة الغربية وغيرها مـــن الحضارات، وبالنسبة إلى المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية بل عالم يضم حضارات مختلفة ينبغي لكل منها أن يتعلم التعايش مع غيره.

٣- آراء حول نظرية صدام الحضارات لـ (هنتنغتون)

لقد سعى هنتنغتون إلى تقديم نموذج للصراعات المستقبلية والراهنة وقدم تفسيراً لذلك الصراع الذي حدده أنه سيتم بين الحضارات وليس بين الدول، وقد تعرضـــت نظريـــته للـــنقد فور صدورها عام ١٩٩٣م مما دفعه إلى تطويرها وتوضـــيحها على شكل كتاب صدر عام ١٩٩٦م ولكن هنتنغتون بقي على آرائه وفروضه.

شكل رقم (١)

السياسات العالمية للحضارات: التحالفات البازغة

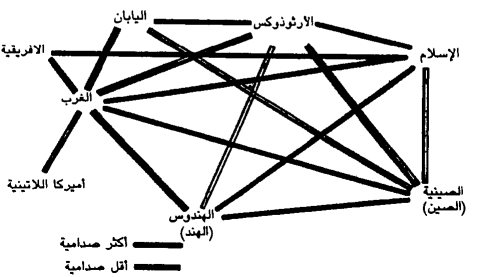

أولاً: حاول هنتنغتون تقسيم العالم إلى حضارات ثمانية اعتماداً على الدين بشكل أساسي ولكن هذا التقسيم غير دقيق ويتلائم بدرجة رئيسية مع ديانته اليهودية إذ دمج بين الديانتين اليهودية والمسيحية التي ستقف في مواجهة الديانة (الحضارة) الإسلامية والكونفوشيوسية وهو بنفس الوقت يفصل بين الديانة المسيحية حسب المذاهب أو الطوائف إذ يعزل الأرثوذكسية عن الحضارة الغربية المسيحية الأخرى.

ثانياً: يدعي هنتنغتون أنه على الرغم من الغرب الذي يواجه الآن بضع حضارات فإن التحدي الأكبر للمصالح والقيم الغربية يأتي من الارتباط الإسلامي – الكونفوشي الذي في نظره مؤامرة بين ثقافتين ساخطتين لتقويض قوة الغرب عن طريق تدفق للأسلحة ولتكنولوجيا الأسلحة من الصين الكونفوشيوسية على دول إسلامية، إن من الصحيح القول أن الصين باعت أسلحة لدول إسلامية، ولكن من الحقائق أيضا أن دولاً إسلامية تقع في جنوب غرب آسيا تلقت خلال العقود الأخيرة أسلحة بلغ ثمنها عشرات إن لم نقل مئات المليارات من الدولارات ولم يسم أحد ذلك ارتباطاً أو مؤامرة مسيحية إسلامية[1].

ثالثاً: أن هناك من يوجه نقده لفرضية هنتنغتون من خلال عدم التوافق في نظام التسمية الاصطلاحية (ليس الإسلام والمسيحية، أو الغرب والشرق، هما اللذان يتناقضان، وإنما الإسلام والغرب: دين ومنطقة جغرافية وفي خضم النقاش نفسه يفترض برنارد لويس وهو باحث بارز في الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية أن بين التعبيرين – الغرب والإسلام– هناك أو قد يبدو أن هناك عدم تناظر،

---

(١) تيسير الناشف: فرضية هنتنغتون في تصادم الحضارات، المنتدى العدد ١٥٥، ١٩٩٨م، ص١٣– ١٤.

فالأولى تعبير جغرافي والثانية دين[1].

رابعاً: طرح بعض المفكرين في تقويمهم للدوافع الحقيقية الكافية وراء هذا التطور الغربي للإسلام فرضية (العدو الضروري) لم يعد لدينا الاتحاد السوفييتي أو الشيوعية لكي يشكلان عدوين يبرران الجهاز العسكري المكلف والتعاظم، وكان البحث قد بدأ منذ أواسط الثمانينات عن أعداء جدد يبررون ميزانيات التسلح والسياسات العسكرية الهجومية، في البداية يوصفها جزءاً من مواجهة التهديد الشيوعي ثم في مواجهة من يحل مكانه، وفي هذا المجال فإن هناك مدرستين رئيسيتين فيما يتعلق بالتهديد الإسلامي أو التهديد الغربي، مدرسة المستشرقين الجدد ومدرسة العالم الثالث الجدد، فالمجموعة الأول تعزو سلوك الدول الشرقية وخاصة الدول العربية الإسلامية إلى بعض السمات والخصائص الثقافية للإسلام.

أما مجموعة العالم الثالث فترى أن الأسباب الجوهرية لمشكلة الغرب في الدول الإسلامية إنما تكمن في ماضي الغرب الاستعماري والإمبريالي ووفقاً لهذه المدرسة، وخلافاً لما طرح هنتنغتون، فإن السبب الحقيقي للصراع بين الغرب والإسلام لا يعود إلى عدم التوافق الحضاري إذ لو كان ذلك هو السبب لكانت العلاقات بين الدول الغربية وجميع الدول الإسلامية علاقات عدائية، وهذا غير حاصل، فالولايات المتحدة على سبيل المثال هي التي قادت وحولت الهجوم الإسلامي الأصولي الأشد ضراوة والأكثر نجاحاً، ضد نظام الحكم الأفغاني الذي كانت تدعمه موسكو في الثمانينات... فالغرب لا يخشى التهديد الإسلامي إلا في السياق الديني عندما تكون مصالحه بعينها مهددة.

---

(١) بوكسيل سيزغيني: هل يشكل الإسلام تهديداً للغرب؟ ترجمة هشام الدجاني، مجلة (الثقافة العالمية) العدد ١٠٧، ٢٠٠١، ص١٣٤.

خامساً: يذكر هنتنغتون أن العالم الإسلامي يمثل تهديداً ديموغرافيا للغرب من خلال ثقله السكاني المستقبلي والهجرة إلى عدد من الدول الغربية في وقت تتزايد فيه معدلات البطالة، وكذلك يشكل المسلمون المقيمون في دول غربية كألمانيا وفرنسا تهديداً (أخلاقياً) للحضارة الغربية يكمن خلف التهديدات العينية المحسومة سالفة الذكر. والحق أن مثل هذا التهديد قد أرعب الغرب على أن يعيد دراسة قيمه الأساسية الخاصة مثل التسامح الديني وحرية التعبير وحقوق الإنسان بل وحتى الديمقراطية والتعددية.

سادساً: يعتقد هنتنغتون ومناصروه أن السلطة القادمة للحركات الإسلامية يمكن أن تفرض تهديداً اقتصادياً لمصالح الغرب عن طريق الحد من قدرة الغرب على الوصول إلى الأسواق الإسلامية والتحكم في إمداد النفط وأسعاره ويقيم الرد على ذلك بالقول أن الإسلاميين إذا ما جاؤا إلى السلطة، فإنهم سيواجهون أيضا بالنقائص والاحتياجات الاقتصادية والتقنية ذاتها التي تواجه الحكومات الراهنة، فطوال الثمانينات، على سبيل المثال، لم تتدخل إيران مطلقاً في التدفق الحر للنفط، والحق أنه حتى الإسلاميين لا يمكنهم أن يتجاهلوا قوى السوق التي تتحكم في تحديد أسعار النفط، وأن منتجي النفط في الشرق الأوسط سوف يحتاجون دوماً مهما كانت توجهاتهم السياسية إلى بيع نفطهم.

سابعاً: يبرر أن هنتنغتون يكاد يحاكي نموذج ماكندر في رسمه للعالم من قلب وجزيرة وعالم، فالجيوحضارة الإسلامية تقع في قلب هذا المحيط الهائل من الجيوحضارات ولا تتماشى بصورة غير مباشرة إلا مع اثنتين هما الأمريكية اللاتينية واليابانية، وفي الوقت الذي يكون فيه لقلب العالم جغرافيا الأهمية القصوى في تحريك التاريخ وصياغته وتحديد الحرب والسلم وتمكين القوى من الهيمنة كما يرى الجيوبولنكيون التقليديون فكذلك لا يسقط (هنتنغتون) العوامل الجغرافية والاقتصادية والعسكرية من هذا كله، بيد أنه يؤكد أن معيار القوة

سيكون تقديره تقديراً ثقافياً وحضارياً[1]. وعندما يتعمق في تحليله يغيب عنه احتمال مواجهة ثنائية الحضارة الإسلامية (الغربية) ويحيد ترتيب المواجهة على أنه ثلاثية الأقطاب، وهذه هي نفس قطبية القوة عند (ماكندر) الذي وضع الإمبراطوريتين الروسية والألمانية وهما قوتان بريتان، حيث حذّر كارل هاوسهوفر من اتحادهما- في مواجهة مع بريطانيا وهي قوة بحرية، فالغرب إذن بجيوحضارته الغربية سيكون في الفضاء العالمي وجهاً لوجه مع تطبيق جيوحضاريين هما الإسلام والكونفوشيوسية[2]. ولذلك يحذر هنتنغتون -مثلما حذر كارل هوسهوفر- من اتحاد الحضارة الإسلامية مع الحضارة الكونفوشيوسية وربما كان هذا -كما نعتقد- السبب وراء بقاء عدم الاستقرار والحرب في أفغانستان لكونها عقدة الربط بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية إضافة إلى ما ذكر فإننا نعتقد أيضا بأن امتداد العالم الإسلامي الكونفوشيوسي عرضيا من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي سيمنع الامتدادات الطولية لعالم الشمال أو الحضارات الأرثوكسية والغربية خاصة وأن هناك محاولات جارية لإعادة طريق الحرير الرابط بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية ومن جهة ثانية فإن مواجهة سلمية أو صراعية بين الغرب وواحدة من الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية لن يكون سوى لصالح الأولى. وكما كان الحال مع بريطانيا وخشيتها من احتمال أن تصبح أوراسيا الجيوستراتيجية تحت هيمنة الإمبراطورية الألمانية، ولكن ألمانيا وحدها لن تقدر على مجابهة الإمبراطورية البريطانية ما لم تقف إلى جانبها روسيا وأن الأخيرة والحال غير ذلك لا بد لها أن تختار الجبهة البريطانية، ولكن هذا الخيار غير

---

(١) كاظم هاشم نعمة: الوجيز في الاستراتيجية، طبعة موسعة، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، ٢٠٠٠، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٨- ٧٩.

ميسور لواحدة من الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية لأنها لا تريان من مصلحتهما التحالف مع الغرب، فضلاً عن أنها لا تتخندقان في جبهتين متقابلتين وهذه مسألة لم يرعاها تحليل (هنتنغتون) الجيوحضاري.

واعتماداً على ما سبق يدعو (هنتنغتون) الغرب في الجملة والولايات المتحدة إلى الحذر من ظاهرة تحدي الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية ومن احتمال تعاونها وكذلك يحث على رصد ما يقع في ساحتيهما من تطورات على الأصعدة العسكرية والاقتصادية والتقنية، وهكذا فإنه يأخذ على نفسه مهمة الناصح والواعظ والمتكهن كما فعل من قبله (ماكندر) و(جاوسهوفر) عندما اعتمدا الجيوبولتكس مدخلاً للتفسير والتحليل والتنوير والنصح وتقديم العلاج[1].

(١) المصدر السابق، ص٨٢- ٨٣.

الفصل الثاني

نظرية المركز والأطراف

Core- Periphery Theory

تعتمد هذه النظرية على الآلية الجيوستراتجية والاقتصادية في حين تعتمد نظـرية هنتنغـتون على الآلية الحضارية بينما تعتمد النظريات الجيوستراتيجية التقليدية على الآلية العسكرية لتنفيذ منطوقها.

١- طبيعة مفاهيم نظرية المركز والأطراف

تعد نظرية المركز والأطراف أو القلب والهوامش كما تسمى أحيانا أحد التفسـيرات حـول توزيع الثروة والقوة على النطاق العالمي وكيفية معالجة هذه التوزيع، وكان أبرز منظريها من الباحثين في علم الاقتصاد والسياسة مثل أندريه جـندر فرانك A.G..Frank ودوس سانتوس Dos Santos سمير أمين Samir Amin (مصري الجنسية) وهناك من يحدد أن أول من وضع مفهوم هذه النظرية هو راؤول بريبش Raul Prebis في نهاية الأربعينات عندما كان يشغل منصب سكرتيراً عاماً للجنة الاقتصادية للأمم المتحدة لأمريكا اللاتينية[١].

ودخلـت هذه النظرية إلى حقل الجغرافيا السياسية في النصف الثاني من السـبعينات عندما صدر كتاب Center and periphery: Spatial Variations الـذي حرره (جان كوتمان Jean Gottman) عام ١٩٧٧م[٢] ثم توالت الكتابات

---

١) عـبد القـادر سيد أحمد: المفاوضات بين الشمال والجنوب، الرهانات، دائرة المنشورات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م، ص٨٤.

٢) Jean Gottman (ed) Center and Periphery: Spatial Variations Saye, London,1977.

حـول هـذا الموضـوع في الثمانينات ومنها كتاب جون دينيه شارت John R.Short تحت عنوان An Introduction to Political Geography [1] وكذلك كتابات البريطانيين بيتر تايلز Peter Taylor ورونالد جون جونستون Ronald Jhon Johnston الأكثر إنتاجاً علمياً بين أقرانهم.

تقوم هذه النظرية على فروض أساسية أهمها أن الثروة والقوة في العالم قد تركزت في أيدي الدول الرأسمالية الرئيسية نتيجة التفاوت في القدرة الإنتاجية -المرتـبطة كما نعتقد بالمتغير التكنولوجي- بين مختلف مناطق العالم مما جعل العـالم عـبارة عـن جزئيـن: الجزء المتطور المتقدم الغني (المركز) والجزء المـتخلف الضـعيف (الأطـراف) وفي هذا المجال يقول سمير أمين أن الاتجاه المسـيطر فـي المنظومة العالمية حتى الآن يسير نحو تفاقم الهوة بين المركز والأطـراف، لا نحـو تقليصها، بهذا المعنى تشكل الإمبريالية المشكلة الحقيقية الوحيدة[2].

يقـيم المركـز الدولة الرأسمالية المصنعة تصنيعاً عالياً وهي الولايات المـتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان في حين تضم الأطراف ما تبقى من العالم التي تدور حول هذا المركز (المتروبول) ونشأ عن ذلك التقسيم ما يسمى بالتقسيم الدولـي للعمـل International Division of Labour الذي يعني نمط توزيع الأدوار والتخصصـات الاقتصـادية بين الدول بحيث يصبح لكل مجموعة دور محدد في السوق العالمية بحسب إمكاناتها ومستواها التكنولوجي.

---

(١) Jhon Rennie short (An Introoduction to Political Geography) 2nd ed., Routledge, N.Y., 1993.

(٢) سـمير أمـين: الـتراكم علـى الصـعيد العالمي، ترجمة حسن قبيسي، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٧١.

وبقـوم تقسيم العمل منذ نشأته قبل عدة قرون على أساس علاقة جائرة بين طرفين يتحكم أحدهما بالآخر بما يتملكه من قوة. ويلعب التطور التكنولوجي دوراً بارزاً في شكل التقسيم وآلياته إذ تميزت كل مرحلة من مراحله ببروز تقنية جديدة في عملية فرضه مما ساهم في توزيع القوة على نطاق عالمي.

وقـد اسـتخدم المركز الرأسمالي العالمي عدة أساليب لفرض هذا التقسيم الدولـي للعمـل وبالتالـي توزيع الثروة والقوة بين مجاميع الفواعل في النظام العالمـي، ويتضـح ذلك بشكل جلي من تتبع الخط التاريخي لمسيرة نظام تقسيم العمل الدولي الذي **يمكن أن نميز فيه ثلاث مراحل:**

المرحلة الأولى: المرحلة التجارية

بدأ فرض تقسيم العلم الدولي على دول الأطراف ببداية ما يسمى بالتراكم البدائـي لرأس المال أو ما يطلق عليه تكون الرأسمالية التجارية واستمرت حتى بروز الثورة الصناعية في أوروبا، إذ مكنت التحسينات التكنولوجية في صناعة السفن والقدرة على الإبحار، العديد من الدول الأوروبية للمغامرة بحثاً عن فرص جديدة لتكون الثروة[1].

وعلى هذا قام التقسيم الدولي للعمل الذي عرضته الدول الأوروبية على دول الأطراف (الأمريكتين وأفريقيا) على محورين رئيسين هما[2]:

١- يسـتند المحـور الأول إلى السلب والنهب الكاملين لكنوز وثروات هذه الـدول. فالنهب الذي تعرضت لـه هذه الدول كان من العمق والاتساع

---

(١) عـبد الله هدايـة وآخرون: حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات متعددة الجنسيات، دار الشباب، قبرص، ١٩٨٦، ص٧٧.

(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: رمزي زكي: التاريخ النقدي للتخلف، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١١٨، ١٩٨٧م، وكذلك عبد الخالق عبد الله: العالم المعاق والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٣٣، ١٩٨٩م.

بحيث يمكن اعتباره أكبر عملية سرقة في التاريخ البشري.

٢- المحـور الثاني يقوم على تجارة العبيد إذ أصبح دور دول الأطراف في هذه المرحلة مقايضة البشر بالسلع في الدول الأوروبية.

لقد لعبت الكشوف الجغرافية في هذه المرحلة دوراً بارزاً إذ حققت نقطة لانطلاق لكل توسع استعماري[١]. وفضلاً عن الكشوف الجغرافية فقد ساعد على يام تقسيم العمل الدولي في بدايته الأولى، التفوق النسبي الذي حققه الأوروبيون ـي مجـال صـناعة السفن الحربية والأسلحة والذخيرة ونمو معرفتهم بأسرار الطـرق البحرية، ولهذا فإن الأرباح والثروات الضخمة التي تكونت خلال هذه الفـترة هـي أولى بشائر التراكم الرأسمالي ومصدر قوة رأس المال التجاري[٢] وهكذا حققت الكشوف الجغرافية هدفين رئيسيين:

الأول: تحـول اتجاهـات التجارة الدولية لصالح الدول الأوروبية بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وأمريكا.

الثاني: الوصول إلى مناجم إنتاج الذهب في أفريقيا وأمريكا ونهب مقادير منها.

وقد سادت الرسلة التجارية بعد اكتمال حركة الكشوف الجغرافية وظهور الدولـة القومية State-Nation التي تبحث عن تدعيم سلطتها وقوتها السياسية والاقتصـادية فـي وقت كان الأوروبيون قد تمكنوا من الهيمنة والاستيلاء على المستعمرات وذاقوا طعم الثروات الضخمة. وقد شهدت هذه الفترة أعنف أشكال الصـراع والتـنافس على تقسيم العالم بين الدول الأوروبية. كما أن رأس المال الـتجاري قـد سيطر في هذه المرحلة وأصبح التجار يؤازرهم في ذلك الملوك

---

(١) صـلاح الديـن الشامي: دراسات في الجغرافيا السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٣م، ص١٦٣.

(٢) رمزي زكي: التاريخ النقدي للتخلف، مصدر سابق، ص٢٩- ٣٠.

والأمـراء والحكومات، يلعبون دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية والسياسية، إ
أصبحت بين التجارة والسياسة علاقة متشابكة، فأصبح التجار ينادون بمقولة[1]:

إن من يحكم المحيط يحكم تجارة العالم

ومن يحكم تجارة العالم يحكم ثروة العالم

وإن من يسيطر على ثروة العالم يحكم العالم ذاته

وربمـا كـان هـذا هو الدافع وراء قيام (الفرد ثاير ماهان Alfred.T. Mahan) بطـرح نظـرية حـول القوة البحرية ومقومات هذه القوة التي حددها بـالموقع الجغرافي وطبيعة الشعب والحكومة ومدى توجهها نحو البحار، فضلاً عـن طبيعة الساحل وظهيره من حيث الفقر والغنى الذي يساعد على المتاجرة، وكذلك مساحة الدولة[2].

المرحلة الثانية: المرحلة الصناعية

تبدأ هذه المرحلة مع بداية الثورة الصناعية، إذ أسهمت هذه الثورة بشكل واضح في تسارع عملية التحول والانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية إذ سـاعدت علـى بلـورة نظام تقسيم العمل وترسيخ دعائمه إذ أحدثت الثورة الصـناعية آثار مهمة وعميقة في جميع نواحي الحياة فأصبحت الآلة من الحديد والصـلب بـدلاً من الخشب وتركز النشاط السلعي في مراحله الأولى في قطاع النسيج. وبانتشار المصنع وصيرورة الصناعة القطاع الديناميكي القائد للاقتصاد

---

(١) محمـد طـه بـدوي: مدخـل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٦٧.

(٢) Alfred.T. Mahan (The Influence of Sea Power Upon History 1660-1983) Samson,N.Y., 1890,PP.25-89.

القومي بأكمله، تحققت عملية التصنيع وتحقق الانتقال من الإنتاج السلعي الصغير إلى الإنتاج الآلي الواسع[1].

لقد صاحب قيام الرأسمالية الصناعية وبفعل التطور التكنولوجي، تغير في شكل تقسيم العمل الدولي إذ مكنت الثورة الصناعية دول المركز الرأسمالي العالمي من إنتاج السلع على نطاق واسع فبرزت، الحاجة إلى وجود أسواق لتعريف هذه السلع وإلى الحصول منها على متطلبات الصناعات الجديدة من المواد الأولية.

هكذا أدت الثورة الصناعية إلى تغيير شكل تقسيم العمل الدولي. فتخصصت الدول الرأسمالية في تصنيع المواد الاستهلاكية وأنيطت بدول الأطراف إنشاء الصناعات الاستخراجية والتخصص في إنتاج المواد الزراعية اللازمة للصناعات في دول المركز. وهذا التخصص الجديد للأطراف هو تخصص غير متناظر[2] شكل رقم (١) جدول رقم (١).

وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أدت الاختراعات الكبرى إلى تطوير التنافس بين الدول الصناعية الجديدة وبدأت منتجات ومصادر الطاقة الجديدة لما يسمى بالثورة الصناعية الثانية تسيطر على النشاط الصناعي وأبرز مظاهرها الفولاذ المنتج بكميات هائلة، والطاقة الكهربائية، واستخدام النفط كمصدر للطاقة، والكيمياء الصناعية، ومحرك الاحتراق الداخلي، في أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان بعد ذلك، تطلب هذا استثماراً عالياً لرأس

---

(١) عبد الجبار محمود مفتاح العبيدي: إشكالية الفكر التنموي في الأنظمة الاقتصادية المختلفة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإدارة الاقتصادية، جامعة بغداد، ١٩٩٢م، ص١٩٥.

(٢) سمير أمين: التراكم على الصعيد العالمي، مصدر سابق، ص٧٢-٧٣، وكذلك سيبداً من :التطور اللاستطافها، ترجمة برهان غليون، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص١٤٥- ١٤٦.

المال ومؤسسات مالية كبيرة وذات مرونة كافية لتمويل المشاريع الجديدة[1].

إذا كانت هذه العملية قد نمت بشكل جنيني في المرحلة الصناعية الأولى، فإنها قد أخذت تشهد تغيراً باتجاه التحول إلى الخضوع للاحتكارات والبنوك ورأس المال المالي[2] وأصبح لتصدير رأس المال الأولوية مع تصدير السلع، ودمج اقتصاد دول الأطراف بالكامل في اقتصاد المركز، وأصبحت تتحرك برأس مال أجنبي وبعمالة محلية في إنتاج الخدمات والمنتجات الأولية التي يطلبها اقتصاد المركز.

ومن تفاعل هذه العلاقات والخواص وتبلورها في هذه المرحلة قاد إلى بدء نمط جديد في التخصص وتقسيم العمل الدولي بين دول المركز الرأسمالي العالمي ودول الأطراف. فأصبحت السلع الرأسمالية من مهم دول المركز، أما دول الأطراف فأصبحت مهمتها السلع الاستهلاكية أي اتباع (سياسة الإحلال محل الواردات في التصنيع) إلى جانب الإنتاج الزراعي والاستخراجي، يساعدها على ذلك توفر الأيدي العاملة الرخيصة والمواد الأولية.

وقد اتبعت دول المركز الرأسمالي العالمي آليات متعددة لغرض فرض نظام تقسيم العمل الدولي خلال المرحلة الصناعية، تمثلت فيما يأتي[3]:

---

(١) Harm De Bly (Systematic Political Geography) Johnwiley, N.Y., 1967,PP.495-5 للمزيد حول الجديد الذي تضطلع به المصارف يفضل الرجوع إلى: فلاديمير أ. ليفيني: الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، ترجمة راشد البراوي مكتبة النهضة العربية، د.ت، ص١٩-٣٧..

(٢) Richord Muir (Modern Political Geography) Macmillan, London, 1975, 162.

(٣) للمزيد من التفصيل حول هذه الآليات يفضل الرجوع إلى: خالد محمد خالد: التقسيم الدولي للعمل واحتمالات التنمية العربية، في عبد الله هدية :حوار الشمال الجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات متعددة الجنسيات، دار الشباب للنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

أ- الآلية العسكرية إذ قامت بالغزو العسكري لبعض مناطق الأطراف وامتلاكها مكونة ما يعرف بالاستعمار الكولونيالي وإقامة نظم عسكرية في الأطراف ترتبط بالدول الرأسمالية.

ب- خلق نظم سياسية شكلية مستوردة من المركز الرأسمالي العالمي لتستطيع من خلالها تنفيذ استراتيجيتها.

ت-استحداث دول المركز الرأسمالي العالمي الآلية الثقافية لغرض فرض نمط حياتها على مجتمعات ودول الأطراف (الغزو الثقافي).

المرحلة الثالثة: ثورة المعلومات

يمر النظام الرأسمالي منذ الربع الأخير من القرن العشرين وحتى الآن بمرحلة ما بعد الصناعية (رأسمالية الثورة العلمية والتكنولوجية).

إن الثورة الصناعية الثالثة (ثورة المعلومات) ما هي إلا نتاج التراكم المعرفي للثورتين الأولى والثانية إلا أنها تتميز بكونها اعتمدت على موارد غير ناضبة (المعرفة) بعكس الثورتين السابقتين اللتين اعتمدتا على مواد ناضبة مثل الحديد والنفط[1].

ومع تطور القوى المنتجة في هذه المرحلة تغير نمط تقسيم العمل الدولي ليتفق مع مرحلة تدويل الإنتاج وعالمية الأسواق، فأصبح كل جزء من السلعة ينتج في أماكن متعددة من العالم أي ما يعرف بـ (فك الحزمة التكنولوجية) إذ سمحت التكنولوجيا الحديثة بتجزئة العمليات الإنتاجية وتوزيعها على مناطق جغرافية متباعدة مع إبقاء السيطرة والتوجيه في محطات القيادة في دول المركز بفضل التطور الهائل في أساليب ووسائل الاتصالات ووسائط النقل وغيرها وقد

---

(١) عبد المنعم سعيد: العرب ومستقبل النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٧.

أدى تركز التقدم التكنولوجي في الاقتصاديات الصناعية إلى تطور مستمر للخصائص النوعية للسلع الصناعية وإلى ظهور سلع جديدة ميزتها ارتفاع قيمة العمل الماهر المبذول في صنعها، وبانخفاض مساهمة المواد الخام في غلق قيمتها النهائية[1].

وبناء على هذا يمكن القول ببزوغ تقسيم دولي جديد للعمل، تتخصص فيه بعض الدول في إنتاج الصناعات الخفيفة، والبعض الآخر في الصناعات عالية التقانة، والأخيرة في الزراعة[2] واستخراج المواد الأولية.

التقسيم الدولي للعمل بهذا المعنى ينطوي على شقين أحدهما اقتصادي فني يتعلق بتوزيع الأدوار بين الدول والثاني سياسي يتعلق بإدارة هذا التوزيع ومراقبته، الأول هو خارطة التقسيم الدولي للعمل، والثاني هو القواعد التي تتحكم وتنظم هذا التوزيع والتي تمثلت في اتفاقية تحرير التجارة (الجات GATT) وما ارتبط بها من اتفاقات وتنظيمات وعلى هذا الأساس، فإن هذا التقسيم يتسم بعدد من الخصائص أهمها[3]:

١- إن هذا التقسيم يتسم بالتراتبية أو الهراركية فطبقا لـه يمكن تصنيف العالم إلى خمس فئات حسب ما يعتقد البعض هي: الدول ما بعد الصناعية، الدول الصناعية التقليدية، الدول الصناعية الجديدة، الدول المنتجة والمصدرة للمواد الأولية، ثم الدول النامية الفقيرة في الموارد.

---

(١) غفار عباس كاظم: نقل التكنولوجيا في إطار النظام الاقتصادي الدولي، مجلة الوحدة الاقتصادية العربية، العدد ٢، ١٩٨٥م، ص٤٧.

(٢) عمرو الجوبلي: العلاقات الدولية في عصر المعلومات: مقدمة نظرية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، ١٩٩٦م، ص٥٨.

(٣) صلاح سالم زرنوقة: إدارة التقسيم الدولي الجديد للعمل، أخبار الإدارة، العدد ٢٤، ١٩٩٨م، ص٤

٢- الربط -على الأقل نظرياً- بين الاندماج في الاقتصاد العالمي وتحقيق التنمية، فإن هذا التقسيم لا يسمح لدولة لا تشارك فيه بتحقيق نمو.

٣- إن هذا التقسيم ليس ساكناً وإنما هو حركي يتغير مع كل تقدم تكنولوجي تحرزه أية دولة، كذلك تلعب الشركات الدولية النشيطة دوراً حاسماً في تغيير هذا التقسيم.

٤- إن البعد المعرفي والمعلوماتي أصبح مكوناً أساسياً في منظومة التقسيم ويرتبط به تزايد أهمية أنشطة ذات طابع رمزي (المعلومات مثلاً) وتزايد قطاع المعلومات في هذه المنظومة.

٥- إن هذا التقسيم يواكبه أو يوازيه نوع آخر من تقسيم العمل على المستويات الإقليمية (التكتلات الإقليمية) وهنا نلاحظ أن الدور الاقتصادي للدولة قد يرتبط بدور أمني أو سياسي أو استراتيجي على المستوى الإقليمي.

٦- إن هذا التقسيم ينطوي كسابقه على قدر كبير من عدم التكافؤ بين أطرافه سواء في الشق الاقتصادي أو السياسي.

٧- استخدام هذا التقسيم لآليات معنوية أكثر منها حسية أي ما معناه زيادة استخدام القوة اللينة Soft Power بدلاً من القوة الصلبة Hard Power لترسيخ دعائمه.

على ضوء هذا التقسيم الدولي للعمل وبروز الآلية الاقتصادية وتحول نمط الانقسامات إلى خط شمال جنوب بعد أن كان شرق غرب وتحول نمط التكتلات من تكتلات عسكرية إلى تكتلات تجارية، فإن الصراع العالمي سيأخذ شكل صراع من أجل النفوذ الاقتصادي والسيادة الصناعية، وهو ما يطلق عليه بالجيوايكونوميك Geoconomic وأصبحت ترسانة الجيوايكونوميك تضم أسلحة قديمة وأخرى جديدة مثل التعرفة الكمركية، وقرارات الحد من الواردات

والحواجز التجارية، وإقامة مناطق التجارة الحرة.

وفي إطار الرؤية الجديدة للتنافس الاقتصادي بين الدول أصبح تحقيق التفوق أو التقدم الاقتصادي يعادل القوة العسكرية، كما أن التقدم الإنتاجي يعادل تطوير الأسلحة، كذلك فإن اقتحام الأسواق الذي تسانده الدولة لا يقل أهمية عن القواعد العسكرية في أراضي الدول الأجنبية كما يماثل النفوذ الدبلوماسي[1].

واعتماداً على ما سبق فإن خارطة العالم الجيوستراتيجية في بداية القرن الواحد والعشرين ستزداد تعقيداً كما يقول بريجنسكي في كتابه Out of Control وستتحدد على شكل كتل اقتصادية وتحالفات سياسية يحكمها خليط من علاقات التواطؤ والتعاون والتنافس، وأن هذه الكتل تقودها أقطاب أو قوى كبرى تمثل المركز الرأسمالي العالمي – أكثر وضوحاً في التبلور هي الولايات المتحدة وامتداداتها كمحال حيوي في أمريكا اللاتينية، والاتحاد الأوروبي وامتداداته في أفريقيا، واليابان وامتداداتها في شرق آسيا. بالإضافة إلى قوة شمالية بدون مجال حيوي جنوبي هي روسيا الاتحادية وقوتين جنوبيتين بدون قطب شمالي مهيمن هما الصين والهند.

وهنا لا بد من تحديد قدرات هذه القوى –الراكز– التي تبحث عن مجالاتها الحيوية:

---

(١) لقد دفع هذا بالرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش إلى التصريح في هولندا عند زيارة قصيرة لها عقب قمة حلف شمال الأطلسي في روما عام ١٩٩١م، بأنه يخشى من نشوب حرب مواقع بين حلفاء الأمس بعد زوال الحرب الباردة، كما دفع بمدير المخابرات المركزية الأمريكية CIA إلى أن يعلن بأن ٤٠% من مهام الجديد تتناول الاقتصاد الدولي، ينظر ممدوح شوقي: الأمن القومي والعلاقات الدولية، العدد ١٢٧، ١٩٩٧م، ص٤٦، وكذلك مجلة قضايا دولية، العدد ٢٠٥، ١٩٩٣م، ص٢٣.

أولاً: الولايات المتحدة

مساحتها (٩,٤) مليون كم^{٢} وسكانها (٢٥٠) مليون نسمة وناتجها القومي ٦ تريليون دولار أي ما يعادل ٢٦% من إجمالي إنتاج العالمي كما أنها الدولة الأولى في العالم من حيث عدد الشركات متعددة الجنسيات (١٦٤ شركة من أكبر ٥٠٠ شركة في العالم).

أما قوتها العسكرية فهي أكثر وضوحاً للعالم الخارجي فلديها إثنان مليون جندي وإنفاق عسكري ٣٠% من إجمالي الإنفاق العسكري العالمي، وهي تمتلك أكبر عدد من الرؤوس النووية في العالم (١٥ ألف رأس) وأن هذه القدرات العسكرية والنووية والاقتصادية مسنودة بقدرات تكنولوجية وبشرية متقدمة وبقدرات علمية ودعائية واسعة ومؤثرة.

ثانيا: الاتحاد الأوروبي (يضم ١٥ دولة)

يبلغ عدد سكانه (٤٠٠) مليون نسمة أي ما يعادل ٧% من سكان العالم مقابل (٢,٤) مليون كم^{٢} وناتج إجمالي (٦,٥) تريليون دولار أي ما يعادل ٢٨% من الناتج القومي العالمي وتجارته الداخلية تشكل ٤٠% من إجمالي التجارة العالمية، وقدراته التكنولوجية والعلمية القائمة تضاهي القدرات التكنولوجية والعلمية الأمريكية واليابانية. أما عدد القوات المسلحة يمتلك الاتحاد الأوروبي ثلاث مليون جندي مجهزين بأحدث الأسلحة وإنفاقها العسكري (١٦٣) مليار دولار أي ما يعادل ١٧% من الإنفاق العسكري العالمي.

ثالثا: اليابان

اليابان قوة اقتصادية وتكنولوجية ومالية عملاقة لكنها تبدو من خلال المعطيات السكانية والمساحية والعسكرية دولة صغيرة نسبياً فسكانها البالغ

(١٢٥) مليون نسمة يعادل نصف سكان الولايات المتحدة ومساحتها (٣٨٠) ألف كم٢ تعادل ٢,٨% من مساحة الولايات المتحدة ومعظمها أراضي جبلية فقيرة في الثروات الطبيعية، لذا تستورد اليابان ٩٠% من حديدها و٩٩% من نفطها و١٠٠% من النحاس والمعادن الأخرى، أما قدرات اليابان العسكرية فهي مقيدة، فلا يزيد عدد قواتها المسلحة عن (١٥٠) ألف فرد وإنفاقها العسكري لا يزيد عن ١% من إجمالي الناتج القومي حسب القيود الدستورية[1].

ولكن اليابان التي تؤكد معظم المعطيات بأنها ليست أكثر من مجرد قزم سكاني وجغرافي وعسكري أمام القوى الكبرى الأخرى، هي اليوم عملاق اقتصادي. فنتاجها القومي ثلاث تريليون دولار أي ما يعاد ١٥% عام ١٩٩٤م من إجمالي الناتج القومي العالمي، ولديها فائض تجاري يتجاوز (٢٠٠) مليار دولار، كما أن اليابان هي الدولة الأولى في العالم في الصادرات العالمية من السيارات، ومن يسيطر على صناعة السيارات يمكنه السيطرة على التجارة العالمية لأن هذه الصناعة وحدها تشكل ١٠% منها، وتضم اليابان ٧٠% من الروبوت الصناعي في العالم مقابل ١١% في الولايات المتحدة ولديها ٧٠ ألف عامل في مجال البحث والتطور R&D يفوق ما لدى بريطانيا وفرنسا وألمانيا معاً.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من وجود مجالات واحتمالات للتنافس بين هذه القوى الثلاثة إلا أن هذه القوى باعتبارها الكتلة الرئيسية للنظام الرأسمالي المهيمن، سوف تزداد اندماجاً وقوة، ذلك بفضل المؤسسات المشتركة التي أنشأتها مثل البنك الدولي للإنشاء والتعمير، وصندوق النقد الدولي، ووكالة

---

(١) هناك من يعتقد إن اليابان حتى وإن لم تختار أن تصبح قوة عسكرية فإنها ستؤثر في البيئة الاستراتيجية ببساطة من خلال القرارات الاستثمارية، عبد المنعم سعيد: الأخوة الأعداء: اليابان والقوى الكبرى، السياسة الدولية، العدد ١٠١، ١٩٩٠م، ص١١٠.

الطاقة الدولية، والشبكة الكثيفة من الشركات عابرة القومية التي تربطها، إضافة إلى سبقها في مجالات الثورة التكنولوجية، وستزداد أهمية مثل هذا التنسيق والتحالف في ضوء مسعى هذه الأقطاب لإدماج دول الكتلة الشرقية -التي حاولت فك الارتباط مع المركز الرأسمالي العالمي- ودول الجنوب في إطار النظام الرأسمالي العالمي بشكل أكثر قوة وقسوة[1].

ونتيجة لتركز وتزاحم أقطاب القوة والثروة والتكنولوجيا في قطاع واحد هو نصف الكرة الشمالي من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، فإنه من الطبيعي حدوث توسع من الشمال على الجنوب في شكل أقاليم طولية على امتداد كل قطب من الأقطاب تتشكل منها خارطة العالم الجيوستراتيجية وفقاً لأقاليم جيوبولتيكية كبرى.

---

(١) لتنسيق التعاون بين أعضاء المركز الرأسمالي العالمي تشكلت اللجنة الثلاثية التي تضم عدداً من الشخصيات ذات الصلة بالأوساط السياسية والتجارية والأكاديمية في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان وتضم أيضاً عددا من المسؤولين في السلطة ومنذ عام ١٩٧٠م رسم واحد من ألمع ممثليها وهو زبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski مخططاً إجماليا لمجموعة الأمم الغربية الصناعية مؤسسة المثلث الذي يتكون بدرجة أساس من الولايات المتحدة وتختص دراسات اللجنة أساساً بمسائل الاقتصاد الدولي وإصلاح النظام النقدي الدولي وإحياء علاقات الشمال والجنوب والعلاقات مع الدول الأعضاء في منظمة أوبك وتوجيهات جديدة للتجارة الدولية وتعريف استراتيجية عالمية في مجال الطاقة وتنمية الموارد الغذائية لجنوب شرق آسيا والمحافظة على الهياكل القائمة في النظام العالمي: للمزيد حول التعاون بين أقطاب المركز الرأسمالي العالمي ينظر:

١- حسنين توفيق إبراهيم: اليابان والنظام الدولي في التسعينات، السياسة الدولية، العدد ١٠١، ١٩٩٠.

٢- محمد عبد الشفيع عيسى: النظام الاقتصادي العالمي في مرحلة انتقالية، السياسة الدولية، العدد ١٢٤، ١٩٩٦م،

٣- عبد القادر سيد أحمد: المفاوضات بين الشمال والجنوب: الرهانات، دائرة المنشورات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م، الفصل الثاني.

الأقاليم الجيوبولتيكية الكبرى في العالم

من المعروف أن لكل قطب أو قوى كبرى دائرة إقليمية تتجسد فيها بؤرة مصالحها القومية National Interest[1] ومن بين ما يميز هذه الدائرة أن القوى الكبرى لا يمكن أن تسمح بتقليص أو انحسار دورها فيها لأن ذلك إنما يعني قبولاً بتهديد مصالحها الحيوية، وبهذا فإن خارطة العالم الجيوستراتيجية تتشكل على النحو التالي: شكل رقم (١).

	الغرب		الشرق		
الشمال	الولايات المتحدة	الاتحاد الأوروبي		روسيا الاتحادية	اليابان
الجنوب	أمريكا اللاتينية	أفريقيا	الهند		جنوب شرق آسيا / الصين

شكل رقم (١) نموذج الكتل الجيوبوليتيكية في خارطة العالم الجيوستراتيجية

أولا: إقليم أمريكا الكبرى

يمثل النظام الغربي من العالم الذي يشمل القارتين الأمريكيتين وجزر البحر الكاريبي، الدائرة الحيوية الإقليمية لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية وهو النطاق الذي دأبت الولايات المتحدة على عدم قبول أي شراكة أو تنافس في

---

(١) عرفت المصلحة القومية على أنها: الحاجات والرغبات المدركة من قبل الدولة ذات السيادة في علاقاتها مع الدول الأخرى ذات السيادة التي تكون بيئتها الخارجية، وهي على أنواع أربعة:

١- المصلحة الدفاعية.
٢- المصلحة الاقتصادية.
٣- مصلحة النظام الدولي.
٤- المصلحة الأيديولوجية.

Donald E. Nuechterlein (The Concept of National Interst: A time for New Approaches Orbis, Vol.23, No. 1, 1979.

سيطرتها عليه، ومن هنا فعندما حاول (الفرد ثاير ماهان) في بدايات القرن العشرين رسم الخطة المبكرة لحركة السياسة الخارجية الأمريكية خلال القرن العشرين، فإنه أوجزها في العبارة التالية:

(تجاه أوروبا: عدم التدخل، تجاه آسيا: التعاون، تجاه النطاق الغربي: الهيمنة)[1].

ولم يكن ماهان في هذا إلا معبراً عن استمرارية ذلك النهج الأمريكي التقليدي في التعامل مع النطاق الغربي الذي أعلنه الرئيس الأمريكي (جيمس مونرو) أمام الكونغرس الأمريكي في ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٢٣م والذي عرف بمبدأ مونرو[2] والقاضي بالمسؤولية الأمريكية عن العالم الجديد مما يعني الانعزال عن أوروبا وتركيز النشاط على تعظيم وحماية المصالح الأمريكية في سائر أنحاء النطاق العربي.

---

(١) علاء السيد عبد العزيز: مستقبل السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه الأمريكيتين، السياسة الدولية، العدد ١٢٧، ١٩٩٧م، ص١٤٣.

(٢) يدلنا هذا المبدأ على الهيمنة الأمريكية على الأمريكيتين والذي ينسب إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (جيمس مونرو) للفترة ١٨١٧- ١٨٢٥م وكان هذا المبدأ يقضي:

أ- إن القارة الأمريكية لا يمكن أن تكون أرضاً للاستعمار الأوروبي في المستقبل.

ب- إن هناك نظاماً سياسياً مختلفاً جوهرياً في الأمريكيتين عن النظام الأوروبي.

ج- إن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن أية محاولة من جانب القوى الأوروبية لتوسيع نفوذها في الأمريكيتين تمثل خطراً على سلامتها وأمنها.

د- إن الولايات المتحدة لن تتدخل في شؤون المستعمرات الأوروبية القائمة آنذاك ولا تشارك في الحروب الأوروبية الصرفة.

- آلان بالمر (موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩- ١٩٤٥م) ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، ج٢، دار المأمون، بغداد، ١٩٩٢م، ص١٠٧- ١٠٨.

والـيوم فإنه مع التقلص التدريجي لقوة الولايات المتحدة وتزايد دعوات الانعزالـية داخلها ومع مزاحمة القوى العالمية الأخرى لها في بقية القارات تبدو الأمريكتان على قمة أولويات واشنطن في عودة شبيهة بمبدأ مونرو.

وقـد دعـا الرئـيس الأمريكـي الأسبق (ريتشارد نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) إلى إعلان صيغة جديدة لهذا المبدأ تعطي واشنطن حق مقاومة الحكومـات المقاومـة لهـا فـي الأمريكتين مثل ما حدث في بنما ومع انهيار أنظمـة الحكـم اليسـارية في أمريكا اللاتينية والغياب السوفيتي عنها بدأ إقليم أمـريكا الكـبرى يتشـكل بـالفعل وأقـر الكونغـرس الأمريكـي في تشرين الثانـي/ نوفمـبر ١٩٩٣م اتفاقـية (نافـتا NAFTA) التـي تضـم كـندا والولايـات المـتحدة والمكسـيك، وأعربـت واشـنطن عن أملها في أن تمتد مـنطقة النافـتا لتشـمل دول أمـريكا الجنوبـية وليصـبح اسم الاتفاق (أمنتا) وذلـك إذا اسـتوفت هـذه الـدول معايـير واشـتراطات اقتصـادية ومالـية معينة.

ثـم كان الإعلان الختامي لقمة (ميامي) لدول الأمريكيتين عام ١٩٩٤م متضمنا اتفاق دول النطاق على السعي لإقامة منطقة التجارة الحرة تشمل النطاق الغريب كله بحلول عام ٢٠٠٨م[1].

ثانياً: إقليم أورو – أفريقيا

رغـم أن الاستعمار الأوروبي بدأ في القرن الخامس عشر –بداية نشوء المركز الرأسمالي العالمي وتقسيم العمل الدولي– إلا أنه حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تكن هناك دوافع قوية تحرك السياسة الأوروبية نحو قارة أفريقيا ويرجع ذلك إلى أن سياسة الاستغلال الاقتصادي في الاستعمار لم تظهر

---

(١) علاء السيد عبد العزيز، مصدر سابق، ص١٤٤.

بوضوح إلا في العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر حتى انتقلت مقاليد الأمور في الدول الكبرى الصناعية إلى طبقات التجار والرأسماليين فأصبحت الأغراض التجارية والصناعية والمالية تتحكم في سياسات هذه الدول.. ولم ندخل القرن العشرين إلا وأفريقيا خاضعة للدول الاستعمارية الأوروبية[1] شكل رقم(٢) وفي ظل النظام العالمي الجديد، فإن الدول الأوروبية بحاجة إلى كتلة إقليمية كبيرة من أجل مواجهة القوة الاقتصادية الأمريكية واليابانية لذا فإن التحرك الأوروبي للسيطرة جنوباً على أفريقيا يعد بمثابة استعادة لمناطق الاستعمار الأوروبي قبل الظهور الأمريكي وحركات التحرر الوطني فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وضمن هذا الإطار يأتي التحرك الفرنسي لتكون الكتلة الفرانكوفونية التي معظمها من الدول الإفريقية وكذلك كتلة الدول الناطقة بالبرتغالية، إضافة إلى التعاون على مستوى دول شمال وجنوب البحر المتوسط (٥+٥) وتشكيل القوة المعروفة –(الأورونور) لضمان الإنجاز الاستقرار في شمال أفريقيا.

وتقدم الدول الأوروبية الدعم المالي لمنظمة الوحدة الإفريقية وجهازها الخاص بتسوية المنازعات وقد أوضحت الأزمة الصومالية التصميم الأوروبي على استعادة النفوذ في القارة السوداء حيث لعبت إيطاليا وفرنسا دوراً مؤثراً في إحباط الخطة الأمريكية في الصومال وأخيراً مؤتمر القمة بين أوروبا وأفريقيا الذي انعقد في القاهرة في كانون الثاني –يناير ٢٠٠١م.

---

(١) شوقي عطا الجمل: قصة الاستعمار في أفريقيا، د.ت، ص٣-٥، وكذلك Norman. J.G. Pounds (political Geography) 2nd ed., Megraw- Hill, N.y., 1972, chapter, 13.

شكل رقم (٢)

التوزيع الجغرافي للاستعمار الأوروبي في أفريقيا عام ١٩١٤م

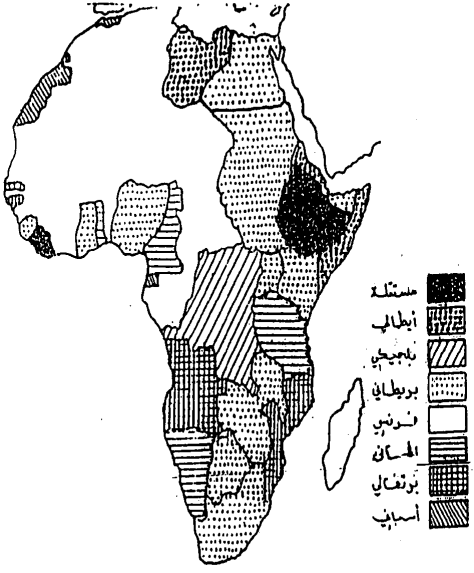

ثالثاً: إقليم آسيا الشرقية الكبرى

لقد كان الموقع الجغرافي المتميز وطبيعة العلاقات الثقافية والتاريخية بين اليابان وجيرانها من الدول الآسيوية أكبر الأثر في توجهات السياسة الخارجية اليابانية، لذا فإن اليابان تنظر إلى الأمن والاستقرار في آسيا وبالذات في شرق وجنوب شرق آسيا كأحد الركائز الأساسية لأمنها الوطني، فهذه المنطقة أضحت ذات أهمية خاصة بالنسبة لليابان من زاوية العلاقات الاقتصادية والتجارية[1].

وفي ظل المتغيرات التي أثرت على بنية وهرمية النظام العالمي الجديد فقد أعلن رئيس وزراء اليابان الأسبق (هاشيموتو) في ١٩٩٧/١/١٣م عن خطة طموحه لبلاده لتقوية علاقاتها مع دول جنوب شرق آسيا من خلال قمة سنوية وبرامج تعاونية للقرن القادم قائلاً (إنه الوقت الذي يجب أن تكون للآسيان[2] واليابان علاقات وروابط أكثر عمقاً وتوسعاً وأبعد من القضايا الاقتصادية[3] وسميت هذه الفكرة بمبدأ (هاشيموتو) وهو أشبه ما يكون بمبدأ (مونرو) ياباني الذي طالب به الكاتب الياباني Kamikawa في بداية الأربعينات من القرن العشرين.

لقد كشف هاشيموتو النقاب عن هذا المبدأ في محاضرة بعنوان (إصلاحية من أجل عهد جديد ومن أجل شراكة أعمق وأوسع) ألقاها بحضور

---

(١) خليل درويش: اليابان ودول العالم الثالث، السياسة الدولية، العدد ١٠١، ١٩٩٠م، ص١٢١، وكذلك حسنيني توفيق إبراهيم، مصدر سابق، ص٨٨.

(٢) الآسيان ASEAN رابطة أمم جنوب شرق آسيا التي تضم الآن عشرة دول من هذه المنطقة أنشأت عام ١٩٦٧م لأسباب أمنية ثم تحولت الآن نحو الدوافع الاقتصادية.

(٣) للتفصيل ينظر: عبد السلام إبراهيم بغدادي: التطلعات الجديدة في السياسة اليابانية، في :اليابان بين إرث الماضي والواقع المعاصر وآفاق المستقبل، العدد الأول من نشرة يصدرها مركز الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، ١٩٩٤م، ص٢٢.

رئيس الوزراء السنغافوري والدبلوماسيين الأجانب في ختام زيارته لدول الآسيان حيث قال فيها (أن اليابان ودول الآسيان يجب أن يطوروا علاقاتهم التعاونية بما يتوافق مع العصر الجديد) وقال (من أجل دعم العلاقات بين الجانبين، فإن قيادة قويـة هي أمر أساسي ثم الحوار على أعلى المستويات لتقوية العلاقات وروابط الثقة بين القادة الكبار)[1].

وبهذا فإن اليابان تريد قيادة هذا الإقليم باعتبار أن القدرة الاقتصادية تمثل ركيزة هامة لدور دولي فاعل يمكن أن يترجم سياسياً[2].

أخـيراً تجـدر الإشـارة إلى أن هذا التوزيع الجيولتيكي للقوى الكبرى ومجالاتها الحيوية على الخارطة الجيوستراتيجية العالمية يتفق مع الواقع الدولي الراهـن الـذي يخلـو مـن الصراعات الأمنية ويموج بالتكتلات والصراعات الاقتصـادية كمـا يـتفق مع الطبيعة الاقتصادية لآلية الهيمنة لهذه القوى على مجالاتهـا الحيوية. كما يتفق من ناحية ثالثة مع حقيقة أن هذه المجالات الحيوية تشكل سوقاً لصادرات هذه القوى الكبرى ومساحة لاستثمارها مساعداتها، إضافة غلى كل ذلك فإن الدول الواقعة في هذه المجالات الحيوية من ناحية رابعة تبادل

---

(١) قضايا دولية، العدد ٣٢٠، ١٩٩٧، ص٢٤- ٢٦.

(٢) هـناك مجموعـة مـن المحددات التي يجب وضعها في الاعتبار عند بحث العلاقات بين اليابان وجيرانها في آسيا:

أ- مخاوف دول آسيا التي لا تزال تخشى شبح الماضي الياباني. هذه المخاوف تستند إلى معاناة العديد من دول آسيا من آثار الاحتلال الياباني لها لأكثر من نصف قرن علاوة على زيادة الميزانية العسكرية اليابانية، والتأييد الأمريكي لبرنامج التسلح الياباني.

ب- دور القـوى الخارجـية في المنطقة وعلى رأسها الولايات المتحدة وروسيا والصين ومدى حجم المسـاحة التـي يمكـن أن تسـمح بها لليابان أن تتحرك خلالها، أحمد محمد فرج: الترتيبات الأمنية والاقتصادية اليابانية في آسيا، السياسة الدولية، العدد ١١٣، ١٩٩٣م، ص١٨٣.

هـذه القـوى الكبرى وتبدي ترحيبا بالمزيد من إضفاء الطابع الاقتصادي على العلاقات داخل نطاق كل قوة من هذه القوى.

لهـذا ستتشـكل الخارطة الجيوستراتيجية للعالم على نحو يظهر اليابان وهـي تهيمـن علـى شـرق وجنوب شرق آسيا بما فيها استراليا ونيوزيلندا، والولايات المتحدة وهي تهيمن على الأمريكيتين، والاتحاد الأوروبي، مهيمناً على أفريقيا، شكل رقم (٣).

شكل رقم (٣)

خريطة القوى الكبرى ومجالاتها الحيوية

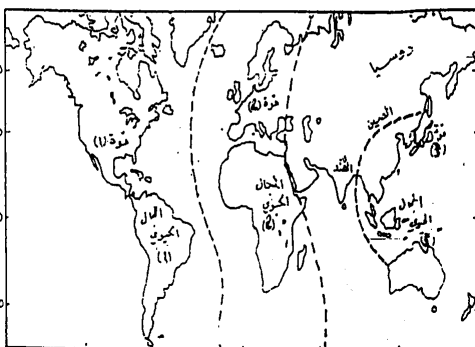

رأء حول نظرية المركز والأطراف

١- إن هـذه النظرية تعتبر العامل الخارجي هو الأساس في التخلف والفقر والضعف على المستوى الاستراتيجي أي أن فقر وضعف الأطراف التي تضـم معظـم أرجاء المعمورة يعود إلى تراكم الثروة والتكنولوجيا في المركـز الرأسـمالي العالمي وعدم السماح بإعادة توزيع القوة والثروة عالميا وذلك وفقاً لآليات متعددة مما يسمح بوجود دكتاتورية للعلاقة بين المركز والأطراف ودكتاتورية بين الطبقات الحاكمة والطبقات المحكومة داخل دول الأطراف.

٢- تعـتمد هـذه الـنظرية الأساس الاقتصادي في تفسير العلاقات الدولية والأقاليمية وبالتالي رسم الخارطة الجيوستراتيجية للعالم ولكن هناك من يعتقد بأن ذلك ليس كافياً لتفسير توزيع القوة على هذا المستوى.

٣- نـتفق نظرية المركز والأطراف مع النظريات الجيوستراتيجية الأخرى فـي أن الصراع العالمي القائم هو بين دول المركز الرأسمالي العالمي والآخر أو كما يقول هنتنغتون الغرب والآخر Westand rest.

٤- إن هذه النظرية الجيوستراتيجية تعيد بدايات تكوين العلاقات بين الأقاليم الجيوبولتيكـية فيها إلى ما بعد الكشوف الجغرافية ١٥٠٠ أي أنها مثل بقـية النظريات الجيوستراتيجية تستمد مساند فروضها العلمية من البعد التاريخي للأحداث ولمدة خمسة قرون تقريباً.

٥- توضـح نظـرية المركز والأطراف وتفسر التـوزيع الغير عـادل للثروة حيـث تشـير المصـادر إلـى أن ربع سكان العالم يملكون 83 بالمئة من **الإيرادات العالمية** ويستهلكون ٧٥% من موارد العالم المعدنية, و 85 بالمئة مـن مـوارد العالم الخشبية ٦٠% من موارد العالم الغذائية الأمر الذي

يخلق توترات وإحباطات على المستوى العالمي، التي تتحكم بالتالي في توزيع الصراعات على هذا المستوى.

الفهرس

المقدمة	٣
الباب الأول: النظريات الجيوستراتيجية او نظريات السيطرة الاستراتيجية القديمة	٧
تمهيد	٩
الفصل الأول: نظرية القوة البحرية (ماهان)	١٣
١- حياة ماهان وأعماله	١٣
٢- منطوق وفروض نظرية القوة البحرية	١٥
٣- آراء في نظرية القوة البحرية لـ (ماهان)	٢٧
الفصل الثاني: نظرية قلب الأرض لـ (ماكندر)	٣٤
١- حياة ماكندر وأعماله	٣٥
٢- فروض نظرية ماكندر ومنطوقها	٣٧
٣- آراء في نظرية قلب الأرض لماكندر	٤٦
الفصل الثالث: نظرية الإطار الأرضي لـ (سيكمان)	٤٩
١- حياة سيكمان وأعماله	٤٩
٢- نظرية سيكمان	٥٠
الفصل الرابع: نظرية القوة الجوية لـ (سفرسكي)	٥٨
١- حياة سفرسكي	٥٨
٢- نظرية سفرسكي	٥٩
الباب الثاني: نظريات السيطرة الاستراتيجية الحديثة	٦٣
تمهيد	٦٥

الفصل الأول: نظرية صدام الحضارات لـ (صموئيل هنتنغتون)	٦٧
١- حياة هنتنغتون وأعماله	٦٧
٢- فروض نظرية صدام الحضارات ومنطوقها	٦٩
٣- آراء حول نظرية صدام الحضارات لـ (هنتنغتون)	٨٩
الفصل الثاني: نظرية المركز والأطراف	٩٥
١- طبيعة مفاهيم نظرية المركز والأطراف	٩٥
٢- آراء حول نظرية المركز والأطراف	١١٧
الفهرس	١١٩

khalifa-DZ-SCAN

Join US on Facebook :

https://www.facebook.com/groups/S.Politiques.ADM.POL.PUBLIQUE

دار أسامة
للنشر والتوزيع
الأردن المبيعات: تلفاكس: ٤٦٤٧٤١٧ - تلفون: ٤٦٣٣٠٤
الإدارة: تلفون: ٥١٥٨٢٥٣ - فاكس: ٥١٥٨٢٥١
الأردن - عمان - ص.ب: ١٤٢١٧٨١
فلسطين الخليل-شارع عين سارة- تلفاكس: ٠٢٢٢١٧٠٥-٠٠٩٧٠